من هدي الإسلام

٦

القلب

مكانته ○ أحواله ○ مرضه ○ شفاؤه

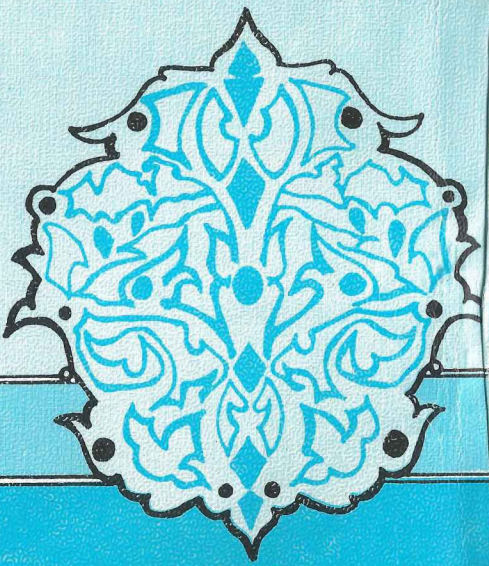

بقلم
فضيلة الأستاذ
أحمد عز الدين البيانوني
رحمه الله تعالى

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

من هدي الإسلام

٦

القلب

مكانته • أحواله • مرضه • شفاؤه

بقلم
فضيلة الأستاذ
أحمد عز الدين البيانوني
رحمه الله تعالى

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة ص.ب : ١٦١ غورية . ت : ٩٣٥٦٤٤
حلب ص.ب : ١٨٩٣ . هـ : ٢٣٧٧٥١
بيروت ص.ب : ١٣٥٢٣٧

الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م
الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م

رقم الايداع ٤٢٢٥ / ٨٦

مطبعه الكلمة بالجيزة
٤ شارع أحمد برادة - ت ٧٣٢٢٣١

التّعريفُ بالمؤلِّف

هو:الشيخ أحمد عز الدين البيانوني، الملقب بأحمد الصياد. ابن الشيخ عيسى البيانوني رحمهما الله .

والبيانوني:نسبة إلى قرية «بيانون» التي تقع شمالي مدينة حلب على بعد خمسة عشر (كيلو متراً) تقريباً وهي مسقط راس والده الشيخ عيسى رحمه الله تعالى .

ولد الشيخ أحمد عام ١٣٣٠هـ -١٩١٣م في مدينة حلب، واستقر مقامه فيها مع والده رحمه الله تعالى، وكان والده من كبار علماء البلاد المشهورين بالعلم والتقوى والصلاح .

عمل المؤلف في حقول التربية والتعليم المختلفة، حتى طلب الإحالة إلى التقاعد عام ١٩٦٨م. كان مهتماً بالدعوة الإسلامية عامة، والتربية العملية خاصة، آخذاً بالعزائم حريصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى عرف بذلك في نفسه وأسرته وإخوانه ومحبيه ...

انطلق عام ١٩٦٥ م في تكوين مدرسة تربوية خاصة نسبت إليه ، وعرفت فيما بعد ، باسم « جماعة أبي ذر » نسبة إلى مكان تأسيسها ، حيث نشأت في جامع أبي ذر في حي الجبيلة بحلب .

اهتمت هذه الجماعة بالتربية الإسلامية الدقيقة ، وعنيت بتنشئة الشباب فيها على القدوة العملية الصالحة ، في مجالات الحياة كافة .

كما عني رحمه الله تعالى بكتابة ونشر الكتب الإسلامية ذات الحجم الصغير ، وألّف في ذلك سلسلة العقائد ، وسلسلة العبادات ، وسلسلة من هدي الإسلام ، حتى زادت مؤلفاته فيها على عشرين كتيباً . وقد لاقت مؤلفاته هذه قبولاً واسعاً في مختلف المستويات والبلدان نظراً لما تمتاز به من أسلوب سهل ميسر ، ومادة علمية نافعة .

تُوفي رحمه الله يوم الجمعة ١٧ ذي الحجة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٩ كانون الأول ١٩٧٥ م ودفن في مقبرة الأعرابي في مدينة حلب ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأقر عينه بالثواب الجزيل ، والأجر المستمر إن شاء الله إلى يوم الدين .

☆ ☆ ☆

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ... ﴾(٣٧ - ق)

وقال رسول الله ﷺ :

« ... ألا وإن في الجسد مُضْغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب »

(رواه البخاري ومسلم)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله العليم الحكيم ، مقلب القلوب على مقتضى علمه وحكمته .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، طبيب القلوب والأرواح بدواء هديه ، وبلسم سنته .

ورضي الله عن الآل والأصحاب والتابعين ، رافعي لواء شريعته ، وأنصار دينه وملّته .

وبعد . فالقلب وما أدراك ما القلب ؟!

له في جسد الإنسان المكان الأول ، وعليه في جميع الأمور المعوّل .

ولا عجب ، فهو الملك ، والجوارح جنود له وخدم .

وهو الآمر الناهي ، والأعضاء أتباع له وحشم .

وحسبك فيه قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ... ﴾[١] .

وقول الرسول ﷺ :

« ... ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي : القلب[٢] .. » .

من أجل هذا تتبعت ما جاء في « القلب » من الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وكلام السلف الصالح ، مما يدل على عظيم مكانته ؛ ورفعة منزلته ، وصُغتها مواعظ في عناوين مفصلة ، ذكرت فيها بعض أمراض القلب وعلله ، وعيوبه وآفاته ، مع بيان طريق الشفاء ، من هذه العلل والآفات ، وذكرت فيها بعض أحواله ، مع بيان المحمود منها والمذموم ، لمجاهدة النفس على فعل الحميد ، ومجانبة الذميم .

وإني لأرجو الله تعالى ، أن يجعلها هادية للقلوب . محركة

---

(١) ٣٧ ـ ق .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

للهمم إلى سلوك الطريق السويّ ، المؤدي إلى حب الله تعالى ورضاه .

وأسأله تعالى أن يتقبلها بقبول حسن ، ويصلح بها قلبي ويحفظه من تقلبات الفتن ، وينفع بها العباد ، ويهديهم إلى سبيل الرشاد ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وهو ولي الهداية والتوفيق .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين .

في ١٢ ربيع الأول ١٣٩٣

أحمد عز الدين البيانوني

القلب

تعريفه :

القلب هو لطيفة ربانية ، لها بهذا القلب الجسماني ، الصنوبري الشكل ، المودَع في الجانب الأيسر من الصدر تعلّق .

والقلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر :

قال الله تعالى : ﴿ **كذلك لنثبّت به فؤادك ...** ﴾[١] .

وقال عز وجل : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾[٢] .

يعني في الموضعين قلبك .

وقد يعبر به عن العقل :

قال الله تعالى : ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ...** ﴾[٣] أي عقل .

---

(١) ٣٢ ـ الفرقان .
(٢) ١ ـ الانشراح .
(٣) ٣٧ ـ ق .

مكانته :

وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان .

ومن عجيب أمر الله تعالى فيه أنه جعل بصحته وبقائه وانتظام دورته حياةَ الجسد ، وبطهارته وسلامته من الآفات حياة الروح .

والقلب هو المدرِك والعالِم من الإنسان .

وهو المخاطَب والمطالَب والمعاتَب .

والقلب هو محل العلم والتقوى والإخلاص والذكرى والحب والبغض والوساوس والخطرات ...

وهو موضع الإيمان والكفر ، والإنابة والإصرار ، والطمأنينة والاضطراب ...

فالقلب هو العالم بالله ، وهو المتقرب إلى الله ، وهو العامل لله ، وهو الساعي إلى الله ... وإنما الجوارح أتباع للقلب وخدم .

والقلب هو المقبول عند الله ، إذا سلم من غير الله .

وهو المحجوب عن الله ، إذا صار مستغرَقاً بغير الله .

وهو الذي يسعد بالقرب من الله ، فيُفلح العبد إذا زكاه ، ويخيب ويشقى إذا دنَّسه ودسّاه .

والقلب هو المطيع في الحقيقة لله تعالى ، وإنما ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره .

وهو العاصي المتمرد على الله تعالى ، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره .

وبإظلام القلب واستنارته ، تظهر محاسن الظاهر ومساويه ، إذ كل إناء ينضح بما فيه .

والقلب هو الذي إذا عرفه الإنسان عرف نفسه ، وإذا جهله جهل نفسه ، وإذا جهل نفسه جهل ربه ، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل ، وأكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم .

☆ ☆ ☆

القلوب بيد الله

إن القلوب بيد الله تعالى ، يقلبها كيف يشاء ، ويلقي فيها ما يشاء ، وينزع منها ما يشاء ، ويصرفها عما يشاء ...

تحبيب الإيمان للمؤمنين :

ـ قال الله تعالى يخاطب عباده المؤمنين :

﴿ ولكن الله حبّب إليكم الإيمان ... ﴾[١] .

فالله تعالى هو الذي يلقي الإيمان في قلوب المؤمنين ، ويزيّن الطاعة في قلوب الطائعين ، كما يلقي الكفر في قلوب الكافرين ، ويزيّن المعصية في قلوب العاصين ، وذلك بمقتضى علمه وحكمته .

ـ وقال تعالى : **﴿ كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ، لا يؤمنون به ، وقد خلت سنة الأولين ﴾**[٢] .

فالكافرون يستمعون إلى كتاب الله ، وإلى ما نزل من

---

(١) ٧ ـ الحجرات .

(٢) ١٢ و ١٣ الحجر .

الحق ، ولا يدخل منه إلى قلوبهم إيمان ولا تصديق ، بل لا يكون منهم إلا الضلال والكفر والاستهزاء .

فالقلوب بيد الله سبحانه وتعالى ، يلقي فيها ما يشاء ، ويصرفها عما يشاء .

كما قال تعالى أيضاً : ﴿ **كذلك سلكناه في قلوب المجرمين** ﴾[١] .

من آثار الإيمان :

ـ وقال تعالى : ﴿ **ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ، ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه ، والله بكل شيء عليم** ﴾[٢] .

فالمؤمن بالله تعالى يعلم أنه لا تصيبه مصيبة إلا بإرادة الله تعالى ، وقضائه ، وقدره ، فيهدي الله تعالى قلبه للصبر والرضا ، ويجعل في قلبه اليقين ، ليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه .

---

(١) ٢٠٠ ـ الشعراء .

(٢) ١١ ـ التغابن .

فإذا ابتُلي صبر ، وإذا أُنعم عليه شكر ، وإذا ظُلم غفر .

الحيلولة بين المرء وقلبه :

ـ وقال تعالى : ﴿ **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** ﴾[١] .

فالله تعالى أملك لقلوب العباد منهم ، ويحول بينهم وبينها إذا شاء ، حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل ، والله عليم حكيم .

التأليف بين القلوب :

ـ وقال تعالى في شأن المؤمنين :

﴿ **وألّف بين قلوبهم ، لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم .. ﴾**[٢] .

فالله تعالى هو الذي ألّف بين قلوب الأوس والخزرج في المدينة ، بعد شدة عداوتهم وتنافرهم . وكان تألف القلوب مع

---

(١) ٢٤ ـ الأنفال .

(٢) ٦٣ ـ الأنفال .

العصبيـــة الشـــديـــدة في العرب ، آيـــة من آيـــات النبي ﷺ ومعجزاتـه لأن أحـدهم كان يُلطَم اللطمـة ، فيقـاتل عنهـا حتى يستقيدها ـ أي يأخذ ثأرهـا ممن لطمـه ـ وكانوا أشـد خلق الله حمية ، فألف الله تعالى بينهم بالإيمان ، حتى قـاتل الرجل منهم أبـاه وأخـاه، بسبب الـدين، وفي سبيل الحق، ولإعلاء كلمـة الله .

الربط على القلوب :

والله تعـالى هو الـذي يربـط على قلوب عبـاده الصـالحين ، فيلهمها الصبر في الشدائد حتى تنجلي ، وهو الـذي يلقي الرعب والجزع في قلوب أعـدائـه ، فيكون النصر للمـؤمنين ، والهـزيـمة للكافرين .

قال الله تعالى في أصحاب الكهف :

﴿ وربطنـا على قلوبهم ، إذ قـاموا فقـالـوا : ربنـا رب السموات والأرض ، لن ندعو من دونـه إلهـاً ، لقـد قلنا إذن شططاً ﴾[1] .

---

(١) ١٤ ـ الكهف .

شـدّ الله على قلـوبهم بـالصبر والتثبيت ، وقـوّاهـا بنـور الإيمان ، وأيّدهـا بروح منـه ، حتى جهروا بقولهم بين الكافرين الذين يخشون أذاهم :

﴿ ربنا رب السموات والأرض ، لن ندعو من دونه إلهاً ... ﴾ .

وكان من جَرائهـا أن صبروا على هجران دار قـومهم ، ومفارقة ما كانوا عليـه ، من خفض العيش ، وفرّوا بـدينهم إلى الكهف .

ـ ومن ذلـك أيضـاً ، مـا قصـه الله تعـالى علينـا من أمر أم موسى عليه السلام :

قـال تعـالى : **﴿ وأصبح فؤاد أم مـوسى فـارغـاً ، إن كادت لتبدي بـه لولا أن ربطنـا على قلبهـا لتكون من المؤمنين ﴾**[1] .

ألقت أم موسى ولدها في اليم بإلهام الله تعالى ، فقلقت عليه

---

(١) ١٠ ـ القصص .

أشد القلق حين بلغها أنه وقع في يد فرعون ، فكادت تصيح : وابنيّاه ! فيظهر أمره ، لولا أن الله تعالى ، ربط على قلبها ، فألهمها الصبر والثبات .

ـ ومن هذا القبيل قوله تعالى يخاطب أهل بدر :

﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنةً منه ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان[١] ، وليربط على قلوبكم ، ويثبت به الأقدام ﴾[٢] .

وذلك في غزوة بدر ، يوم التقى الجمعان ، جمع المسلمين وهم قلة قليلة ، مع جمع المشركين ، وهم كثرة كاثرة ، فجعل الله تعالى الطمأنينة في قلوب المؤمنين ، وألقى عليهم النوم ، وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال في غدها ، فكان النوم عجيباً ، مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم ، ولكن الله ربط جأشهم .

عن علي كرم الله وجهه أنه قال :

---

(١) أي وسوسته وتخويفه .

(٢) ١١ ـ الأنفال .

ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، على فرس أبلق - فيه سواد وبياض - ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم ، إلا رسولَ الله ﷺ تحت شجرة ، يصلي ويبكي ، حتى أصبح[١] .

وحكى أصحاب السير ، أن الكفار يوم بدر ، سبقوا المؤمنين إلى ماء بدر ، فنزلوا عليه ، وبقي المؤمنون لا ماء لهم ، ففزعت نفوسهم ، وعطشوا وأجنبوا ، وصلّوا كذلك .

فقال بعضهم في نفوسهم بإلقاء الشيطان إليهم :

نزعم أنا أولياء الله ، وفينا رسوله ، وحالنا هذه ، والمشركون على الماء ؟!

فأنزل الله تعالى المطر ، حتى سالت الأودية ، فشربوا وتطهروا وسقوا إبلهم ، وتلبدت الأرض ، التي كانت بينهم وبين المشركين ، حتى ثبتت فيها أقدام المسلمين وقت القتال .

- ومن هذا القبيل أيضاً ، تثبيت الله تعالى قلوب سحرة فرعون على الإيمان ، لما آمنوا بموسى عليه السلام ، وهددهم

---

(١) رواه البيهقي .

فرعون بالصلب والتقطيع والتقتيل :

﴿ قال : آمنتم له قبل أن آذن لكم ، إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلأقطّعن أيديكُم وأرجلكم من خلاف ، ولأصلبنكم في جذوع النخل ، ولتعلمن أيُّنا أشد عذاباً وأبقى .

قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا ، فاقضِ ما أنت قاض ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وأبقى ﴾[1] .

ومن هذا القبيل أيضاً ، تثبيت الله تعالى قلوب المؤمنين ، في هذه العصور التي تخلف أهلها عن الدين ، وتنكروا للشرائع ، فمن صدق إيمانه ثبت على الحق ، وغالب الباطل ، وأقام الفرائض ، وتمسك بالسنن ، لا يصده عن دينه تهديد ، ولا يضعفه فيه وعيد ولا تتضاءل إليه نفسه بسبب سخرية أو استهزاء ... سواء ذلك في الأسر المنحرفة ، التي شب فيها

---

(١) ٧١ و٧٢ ـ طه .

مؤمنون ومؤمنات ، وفي البيئة العامة حيث يلاقي المتدينون اضطهاداً وازدراء .

ولا عجب ، فقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ بما يلاقيه المؤمن في أعقاب الزمن من هذا القبيل ، ومن ذلك قوله :

إن من ورائكم أيامَ الصبر ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله[١] .

لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من يخذلهم ، حتى يأتي أمر الله[٢] .

قذف الرعب في القلب :

ـ والله تعالى هو الذي يقذف الرعب في قلوب أعدائه :

قال تعالى : ﴿ **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ،**

---

(١) ابن ماجه والترمذي .

(٢) مسلم وأبو داود والترمذي .

فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ... ﴾[1] .

وهؤلاء الذين ألقى الله في قلوبهم الرعب هم بنو النَّضير من اليهود ، لما ظهرت خيانتهم للرسول ﷺ ، حكم عليهم بالجلاء من أرضهم ، فتريَّثوا . وطمعوا بنصرة المنافقين ، فأخلفوهم الوعد ، فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب ، فلم يجدوا بدأ من النزول على حكم الرسول ﷺ ، فخرجوا ...

فالله تعالى كما يلقي في قلوب المؤمنين الإيمان والصبر والثبات يلقي في قلوب الكافرين الكفر والجزع والرعب ...

تحريك القلوب :

ـ ومن ذلك أيضاً أن الله تعالى يحرك قلوب من يشاء من عباده ، إلى زيارة بلده الأمين ، وبيته العظيم ، استجابة لدعوة رسوله إبراهيم عليه السلام .

وذلك أن إبراهيم عليه السلام ، لما ترك زوجته أم إسماعيل

---

(١) ٢ ـ الحشر .

وولده إسماعيل في موضع الكعبة قبل بنائها ، وقفل راجعاً ، رفع يديه فقال :

﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ... ﴾[1] .

أي تنزع وتميل .

قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم :

لو قال : « أفئدة الناس » لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند ، واليهود والنصارى والمجوس .. ولكن قال : « أفئدة من الناس » فهم المسلمون .

وهذا مشاهد محسوس في كل وقت ، ولا سيما في موسم الحج ، فترى قلوب كثير من المسلمين ، شديدة التعلق بتلك الديار المباركة ، تحنّ إليها على البعد أشد الحنين ، وتنعم فيها على القرب أعظم النعيم ، والله تعالى هو الذي أودع في القلوب هذا التعلق والحنين ، ومنح القلوب تذوق هذا النعيم .

---

(١) ٣٧ ـ إبراهيم .

الله مطلع على القلوب

ولا يطلع على القلوب إلا علاَّم الغيوب .

قال الله تعالى : ﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض ﴾[١] .

وقال عز وجل : ﴿ واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور ﴾[٢] .

فالله تعالى هو العالم بخفيات الصدور ، وما اشتملت عليه ، وبما في السموات والأرض ، وما احتوت عليه .

﴿ وما يعزُب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغرَ من ذلك ، ولا أكبرَ إلا في كتاب مبين ﴾[٣] .

---

(١) ٢٩ ـ آل عمران .
(٢) ٧ ـ المائدة .
(٣) ٦١ ـ يونس .

فضيحة المنافقين :

وقد أخفى المنافقون في قلوبهم الكفر ، وتظاهروا بالإسلام ، ففضحهم الله تعالى ، وأخبر رسول الله ﷺ بما في قلوبهم من الكفر والخداع والعداوة .

قال الله تعالى : ﴿ **ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم ، وأن الله علام الغيوب** ﴾[١] .

وقال عز وجل : ﴿ **أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ، فأعرض عنهم وعظهم ، وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً** ﴾[٢] .

فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعظهم ويخوفهم عاقبة نفاقهم ، وأن يزجرهم بأبلغ الزجر في السر والعلانية .

ومما فضحهم الله تعالى به بناء مسجد الضرار ، وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ، ليفرقوا جماعة المسلمين ، وجاء جماعة منهم إلى الرسول ﷺ طالبين منه أن

---

(١) ٧٨ ـ التوبة .　　(٢) ٦٣ ـ النساء .

يصلي لهم فيه . فسألهم عن سبب بنائه ، فحلفوا بالله أنهم ما أرادوا إلا الحسنى .

ففضح الله نيتهم ، وأمر الرسول ﷺ بهدمه .

قال الله تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلِفُنّ إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون .**

لا تقم فيه أبداً ، لمسجد أُسس على التقوى من أول يوم أحقُّ أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطّهرين ﴾[1] .

فالله تعالى يعلم ما تكنه الضمائر ، وما يجول في الخواطر ، وما تخفي الصدور .

كيف أخبر النبي ﷺ بمغيبات :

وقد أخبر النبي ﷺ بمغيبات ماضية وحاضرة ومستقبلة ،

---

(١) ١٠٧ و١٠٨ ـ التوبة .

وذلك باطلاع الله تعالى إياه عليها ، فهي من قبيل المعجزات .

قال الله تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ...** ﴾[١] .

وقد يطلع الله تعالى بعض أوليائه على مغيبات ، يخبرون بها ، فتقع كما أخبروا ، هي أيضاً من قبيل الكرامات ، والمطلع على القلوب ، هو علام الغيوب ، سبحانه وتعالى .

الأخذ بالظاهر :

ولما كان المطلع على القلوب هو الله تعالى وحده : أمرنا أن نأخذ بالظاهر ، ولا نتحكم بالقلوب والسرائر :

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه ، أنه قال :

قلت لرسول الله ﷺ : أرأيتَ إن لقيتُ رجلاً من الكفار ، فاقتتلنا ، فضرب إحدى يديَّ بالسيف فقطعها ، ثم لاذ مني بشجرة ، فقال : « أسلمتُ لله » ، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها ؟

---

(١) ٢٥ ـ الجن .

فقال : لا تقتله .

فقلت : يا رسول الله ، قطع إحدى يديّ ، ثم قال ذلك بعدما قطعها !

فقال : لا تقتله ، فإن قتلتَه فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ـ أي معصوم الدم ، محكوم بإسلامه ـ وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال[1] ـ أي مباح الدم بالقصاص لورثته ، لا أنه بمنزلته في الكفر ـ .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال :

بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة ـ بطن ـ من جُهَينة ـ القبيلة المعروفة ـ فصبّحنا القوم على مياههم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غَشِيناه قال : « لا إله إلا الله » . فكف عنه الأنصاري ، وطعنته برمحي حتى قتلته .

فلما قدمنا المدينة ، بلغ ذلك النبي ﷺ .

فقال لي : يا أسامة ! أقتلته بعدما قال: « لا إله إلا الله؟!».

---

(١) البخاري ومسلم .

قلت : يا رسول الله ، إنما كان متعوّذاً ـ أي معتصماً بها من القتل لا معتقداً لها ـ .

فقال : أقتلته بعدما قال : « لا إله إلا الله » ؟!

فما زال يكررها عليّ ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[1] . ـ أي ليكفّر الإسلام فعلته ـ .

وفي رواية : فقال رسول الله ﷺ : أقال : « لا إله إلا الله » وقتلته ؟!

قلت : يا رسول الله ، إنما قالها خوفاً من السلاح .

قال : أفلا شققتَ عن قلبه ، حتى تعلم أقالها أم لا ؟

فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ .

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً ـ أي جيشاً ـ من المسلمين ، إلى قوم من المشركين ، وأنهم التقوا ، فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين ، قصد له فقتله ، وأن رجلاً من

---

(١) البخاري ومسلم .

المسلمين قصد غفلته ، وكنا نتحدث أنه أسامة بن زيد ، فلما رفع عليه السيف قال : « لا إله إلا الله » فقتله .

فجاء البشير إلى رسول الله ﷺ ، فسأله وأخبره ، حتى أخبر خبر الرجل كيف صنع . فدعاه فسأله ، فقال : لم قتلته ؟

فقال : يا رسول الله ، أوجع في المسلمين ، وقتل فلاناً وفلاناً وسمى له نفراً ـ وإني حملت عليه ، فلما رأى السيف قال : « لا إله إلا الله » .

قال رسول الله ﷺ : أقتلته ؟

قال : نعم .

قال : فكيف تصنع بـ « لا إله إلا الله » إذا جاءت يوم القيامة[1] ؟ .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ، وإن الوحي قد

(١) رواه مسلم .

انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم . فمن أظهر لنا خيراً أمّنّاه وقرّبناه ، وليس لنا من سريرته شيء ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه ، وإن قال إن سريرته حسنة[1] .

☆ ☆ ☆

---

(١) البخاري .

القلب موضع الوحي

قال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ :

﴿ قل : من كان عدواً لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله ... ﴾[١] .

وسبب نزول هذه الآية ، أن اليهود قالوا للنبي ﷺ :

إنه ليس نبي من الأنبياء ، إلا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة والوحي ، فمن صاحبك حتى نتابعك ؟

قال : جبريل .

قالوا : ذاك الذي ينزل بالحرب وبالقتال ، ذاك عدوّنا ؟

لو قلت : ميكائيل ، الذي ينزل بالقطر والرحمة ، تابعناك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢] .

ومعنى : ﴿ فإنه نزّله على قلبك ﴾ أن جبريل نزل بالقرآن على قلبك ، فوعاه قلبك .

---

(١) ٩٧ ـ البقرة .

(٢) الترمذي .

وخصّ القلب بالذكر ، لأنه موضع العقل والعلم ، وتلقّي المعارف .

ومثل هذا قوله تعالى :

﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾[1] .

☆ ☆ ☆

(١) ١٩٢ ـ ١٩٤ الشعراء .

القلب موضع الإيمان

قال الله تعالى : ﴿ **فمن يُرِد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حَرَجاً ، كأنما يصّعّد في السماء ...** ﴾[1] .

فمن قدَّر الله له الهداية وسّع صدره للإيمان والإسلام ، وزيّن عنده ما يدعو إليه الإيمان والإسلام .

ومن قدَّر الله عليه الضلال ، ضيّق صدره عن ذلك ، ولم يفقه قلبه من شريعة الله حكمة .

يقال : مكان حَرِج وحَرَج : أي ضيّق كثير الشجر لا تصل إليه الراعية .

شبّه الله تعالى الكافر في نفور قلبه من الإيمان ، وثقله عليه، بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه، كما أن صعود السماء لا يطاق. فالكافر من ضيق صدره ، كأنه يريد أن يصعد إلى السماء

---

(١) ١٢٥ ـ الأنعام .

وهو لا يقدر على ذلك ، فهو يستدعيه ولا يقدر عليه .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

قلت : يا رسول الله ، وهل ينشرح الصدر ؟

فقال : نعم ، يدخل القلبَ نور ، فإذا دخل النور القلب انشرح وانفتح .

فقلت : يا رسول الله ، وما علامة ذلك ؟

فقال : التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت [١].

ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف ثلاث خصال ، ولا شك أن من كانت فيه فهو الكامل الإيمان ، فإن الإنابة إنما هي أعمال البر ، لأن دار الخلود إنما جُعلت جزاءً لأعمال البر .

قال الله تعالى : ﴿ جزاءً بما كانوا يعملون ﴾[٢] .

فالجنة جزاء الأعمال .

---

(١) ابن أبي الدنيا والحاكم .

(٢) ١٤ ـ الأحقاف .

فإذا انصرف العبد إلى أعمال البر ، فتلك إنابته إلى دار الخلود .

وإذا خمد حرصه عن الدنيا ، ولم يتكالب على طلبها ، وقنع بما يكفيه منها ، فقد تجافى عن دار الغرور .

وإذا أحكم أموره بالتقوى ، فكان ناظراً في كل أمر قبل فعله ، هل يُرضي الله تعالى أم يسخطه ؟ واقفاً متأدباً متثبتاً حذراً ، يدع ما يَريبه إلى ما لا يريبه ، فقد أحسن الاستعداد للموت .

فهذه علامتهم في الظاهر .

وإنما رأوا ذلك بنور الإيمان الذي دخل قلوبهم .

وقال تعالى : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام ، فهو على نور من ربه ؟ فويل للقاسية قلوبهم عن ذكرالله ، أولئك في ضلال مبين** ﴾[1] .

فإن من وسّع الله تعالى صدره للإسلام ، حتى ثبت فيه ،

---

(١) ٢٢ ـ الزمر .

وفرح بـه ، واطمأن إليـه ، ليس كمن طبـع على قلبـه ، وصرفـه عنه .

وكل من خلق الله تعالى الإيمان في قلبه ، فقد شرح صـدره له .

ومن كلام الحسن البصري رضي الله عنه :

ليس الإيـمان بـالتمني ـ أي بـالتشهي ـ ولا بـالتحلي ـ يعني التزين بالقول ـ ولكن هو ما وقر في القلب ، وصدّقه العمل .

إنكار المنكر بالقلب :

ومن لم ينكر بقلبه عند عجزه عن الإنكار بيده أو لسانـه ، فقد شهد النبي ﷺ بخلوّ قلبه عن الإيمان .

ففي الحـــديث الشريف : من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع قبقلبه ، وذلـك أضعف الإيمان[1] .

---

(١) مسلم .

علامة صدق الإيمان :

ومما يدل على أن الإيمان موضعه القلب : قوله تعالى :

﴿ قالت الأعراب : « آمنا » .

قل : لم تؤمنوا ، ولكن قولوا : « أسلمنا » . ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ... ﴾[1] .

نزلت في أعراب قالوا : « آمنا » ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم ، فلما استُنفِروا إلى المدينة تخلّفوا .

وإنما نفي عنهم الإيمان ، لأنهم أسلموا في ظاهر الأمر ، ولم تؤمن قلوبهم ، وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب .

وأما الإسلام فقبول ما أتى به النبي ﷺ في الظاهر ، وذلك يحقن الدم .

* * *

(١) ١٤ ـ الحجرات .

وقال الله تعالى : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾[١] .

فلا يجتمع الكفر بالله تعالى والإيمان به في قلب ، ولا يجتمع اعتقادان متغايران في قلب ، كما لا يجتمع قلبان في جوف :

فإمّا فيه إيمان ، وإما فيه كفر .

ومن هنا يُعرف مدى الخطر الذي يتعرض له كثير من ضعفاء الإيمان ، إذ يجارون أصحاب الأهواء المنحرفة ، والنزعات الضالة الكافرة ، ويُقرّونهم على أهوائهم ونزعاتهم ، وربما انتصروا لها ودافعوا عنها ...

وما دَرَوا أن ذلك يذهب بالبقية الباقية من إيمانهم ، وأن هذه المجاراة في الأهواء والنزعات كفر بَواح ، ولا يجتمع كفر وإيمان في قلب واحد .

والمسلم الحق ، لا ينظر إلى الأفراد والجماعات ، إلا بمنظار الإسلام ، ولا يوالي إلا من والى الله ، ولا يعادي إلا من عادى الله .

---

(١) ٤ ـ الأحزاب .

والتذبذب بين الإيمان والكفر كفر .

قال الله تعالى في وصف المنافقين : ﴿ **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا . مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء** ﴾[1] .

☆ ☆ ☆

(١) ١٤٢ و ١٤٣ ـ النساء .

المؤلفة قلوبهم

ولما كان القلب موضع الإيمان ، ألّف النبي ﷺ قلوب بعض المتزعمين من صناديد الكفر ، بالبذل والعطاء ، ليستقر بها الإيمان ، وتثبت على الإسلام .

والمؤلفة قلوبهم قوم من عظماء المشركين ، لهم أتباع ، أعطاهم النبي ﷺ من المال ، ليتألفهم ، ويتألفوا أتباعهم على الإسلام .

عن أنس رضي الله عنه أنه قال :

ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، ولقد جاء رجل ، فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال :

« يا قوم ! أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء ، من لا يخشى الفقر » .

وإن كان الرجل ليُسلم وما يريد إلا الدنيا ، فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها[1] .

(١) رواه مسلم .

قال أصحاب السير :

ولما رجع النبي ﷺ إلى الجعرانة ، بعدما حاصر الطائف ، أحصى الغنائم وخمّسها ـ أي أخذ منها الخمس ـ وأعطى منها شيئاً كثيراً لأناس ضعف إسلامهم ، يتألفهم بذلك ، وأعطى أناساً لم يسلموا ، ليحبب إليهم الإسلام .

فمن الأولين : أبو سفيان بن حرب ، أعطاه أربعين أوقية من الذهب ، ومئة من الإبل .

وكذلك ابناه معاوية ويزيد .

فقال له أبو سفيان : بأبي أنت وأمي ، لأنت كريم في السلم والحرب .

ومنهم حكيم بن حزام ، أعطاه كأبي سفيان ، فاستزاده فأعطاه ، ثم استزاده فأعطاه . وفي ذلك يحدثنا حكيم عن نفسه فيقول :

سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال :

يا حكيم ! إن هذا المال خضرٌ حلو ـ أي يؤخذ بنَهِم ـ فمن أخذه بسخاوة نفس ـ أي من غير طمع ـ بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس ، لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى .

قال حكيم : فقلت يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، لا أزرأ أحداً بعدك شيئاً ـ أي لا أنقص أحداً شيئاً بالأخذ منه ـ حتى أفارق الدنيا .

فكان أبو بكر رضي الله عنه ، يدعو حكيماً ليعطيه العطاء ، فيأبى أن يقبل منه شيئاً .

ثم إن عمر رضي الله عنه ، دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله .

فقال عمر : يا معشر المسلمين ، أشهدكم على حكيم ، أني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له في هذا الفيء ، فيأبى أن يأخذه .

فلم يَرزأ أحداً من الناس بعد النبي ﷺ ، حتى توفي[1] .

---

(١) البخاري ومسلم .

ومن المؤلفة قلوبهم : عُيَيْنة بن حصن ، أعطاه مئة من الإبل .

ومنهم : صفوان بن أمية ، أعطاه شعباً ـ طريقاً في الجبل ـ مملوءاً نعماً وشاءً رآه ينظر إليه .

فقال له النبي ﷺ يعجبك هذا ؟

قال : نعم .

قال : هو لك .

فقال صفوان : « أشهد ما طابت بمثل هذا إلا نفس نبي » . وكان سبب إسلامه .

ومنهم : الحارث بن هشام ، أعطاه مئة بعير .

وكذلك أعطى مالك بن عوف ، والعلاء بن جارية ، وسهيل بن عمرو ، وحُوَيطب بن عبد العُزّى ، مئة ، مئة .

وهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى رجالاً من قريش دون المئة .

وأعطى عباس بن مرداس السُّلَمي أباعر قليلة ، فسخطها وقال في ذلك أبياتاً يعتب على النبي ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا فاقطعوا عني لسانه .

فأعطوه حتى رضي .

وكان الرسول ﷺ يقصد من هذه العطايا ـ كما قلنا ـ تأليف القلوب ، وجمعها على الدين القويم .

وهذا ضرب من ضروب السياسة الشرعية الحكيمة ، حتى جُعل من الصدقات قسم للمؤلفة قلوبهم . وقد عاد ذلك بفائدة عظمى ، فإن كثيرين ممن أُعطوا في هذا اليوم ـ ولم يدخل الإيمان بعدُ في قلوبهم ، ولم يكونوا أُشربوا في قلوبهم حبَّ الإسلام ، صاروا بعد ذلك من أجلاء المسلمين ، وأعظمهم نفعاً ، كصفوان بن أمية ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والحارث بن هشام ، وحكيم بن حزام ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسُهيل بن عمرو .

وروي أن حكيم بن حزام ، أخرج ما كان أعطاه النبي ﷺ في المؤلفة قلوبهم ، فتصدق به بعد ذلك .

من حكمة الرسول ﷺ :

ولما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا لقريش وقبائل العرب ، وترك الأنصار ، غضب بعضهم وقالوا :

إن هذا لهو العجب ! يعطي قريشاً ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم !

فبلغه ذلك ، فأمر بجمعهم ، وليس معهم غيرهم .

فلما اجتمعوا قال : يا معشر الأنصار ، ما مقالة بلغتني عنكم ؟

ألم أجدكم ضُلّالاً فهداكم الله بي ؟

وعالةً ـ أي فقراء ـ فأغناكم الله بي ؟

وأعداءً فألف الله بين قلوبكم بي ؟

إن قريشاً حديثو عهد بكفر ومصيبة ، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم . أغضبتم يا معشر الأنصار في أنفسكم ، لشيء

قليل من الدنيا ، ألّفت بـه قومـاً ليُسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم الثابت الذي لا يتزلزل ؟

ألا ترضون يا معشر الأنصـار ، أن يـذهب النـاس بـالشـاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟

فـوالـذي نفس محمـد بيـده ، لـولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصـار ، ولـو سلـك النـاس شعبـا ، وسلـك الأنصـار شعبـاً ، لسلكت شعب الأنصار .

اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار .

فبكى القوم حتى اخضلّت لحاهم ، وقالوا :

رضينا برسول الله قسماً وحظاً .

ثم انصرف عليه الصلاة والسلام ، وتفرقوا .

وعن عمرو بن تَغلِب رضي الله عنـه أن رسـول الله ﷺ أُتي بمال أو سَبْيٌ ، فقسمه ، فأعطى رجالاً ، وترك رجـالاً . فبلغـه أن الذين ترك عتبوا .

فحمـد الله ثم أثنى عليـه ، ثم قـال : أمـا بعـد ، فـوالله إني

لأعطي الرجل ، وأدَع الرجل ، والذي أدَع أحب إلي من الذي أعطي ، ولكني إنما أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكِل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تغلب .

قال عمرو بن تغلب : فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعَم[1] .

في قلب المؤمن حب المؤمنين :

وقال الله تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ، أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ...** ﴾[2] .

نفى الله تعالى الإيمان من قلب من يحب عدو الله وعدو رسوله ، ولو كان من أقرب الناس إليه ، وأثنى على من يعادي أعداء الله ورسوله ، وشهد له بالإيمان .

---

(١) البخاري .

(٢) ٢٢ ـ المجادلة .

وقد نزلت هذه الآية الكريمة ، في أفراد من الصحابة رضي الله عنهم :

منهم : عبد الله بن عبد الله بن أبي رضي الله عنه ، إذ عرض على النبي ﷺ أن يقتل أباه عبد الله بن أبي ، رأس المنافقين .

فقال له النبي ﷺ : بل ترفق به وتحسن إليه .

ومنهم : أبو بكر رضي الله عنه ، فقد صكّ أباه أبا قحافة صكّة ـ أي ضرب قفاه ضربة ـ سقط منها على وجهه ، حين سب النبي ﷺ ، وأخبر النبي ﷺ بذلك .

فقال : أو فعلتَه ؟ لا تعد إليه .

فقال : والذي بعثك بالحق نبياً ، لو كان السيف مني قريباً لقتلته .

ودعا ابنه عبد الله إلى البِراز يوم بدر .

فقال النبي ﷺ : متّعنا بنفسك يا أبا بكر ، أما تعلم أنك عندي بمنزلة السمع والبصر ؟

ومنهم : أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، قتل أباه يوم بدر ، وكان أبوه يتصدى له ، وأبو عبيدة يحيد عنه . فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله .

ومنهم : مُصعَب بن عمير رضي الله عنه ، قتل أخاه عبيد ابن عمير يوم بدر .

ومنهم : عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قتل خاله العاص ابن هشام بن المغيرة يوم بدر .

وعلي وحمزة رضي الله عنهما ، قتلا عتبة وشيبة والوليد يوم بدر .

واستدل العلماء رضي الله عنهم بهذه الآية على معاداة أهل البدع والظلم والعدوان .

وخص الله تعالى القلوب فيها بالذكر ، فقال :

﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ﴾ .

لأن القلوب هي موضع الإيمان .

المعول على القلب :

وقال تعالى : ﴿ **من كفر بالله بعد إيمانه ـ إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ـ ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم** ﴾[1] .

نزلت هذه الآية الكريمة ، في عمار بن ياسر رضي الله عنهما لأنه قارب بعض ما ندبه إليه المشركون من كلمات الكفر ، حين اشتدوا في تعذيبه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أخذ المشركون عماراً ، وأخذوا أباه وأمه سمية ، وصهيباً ، وبلالاً ، وخباباً ، وسالماً ، فعذبوهم ، ورُبطت سمية بين بعيرين ، وطعنت بحربة فقتلت هي وزوجها ياسر ، وهما أول قتيلين في الإسلام .

وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً .

فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ .

فقال له رسول الله ﷺ : كيف تجد قلبك ؟

---

(١) ١٠٦ ـ النحل .

قال : مطمئن بالإيمان .

فقال رسول الله ﷺ : فإن عادوا فعُد .

لكن أجمع العلماء على أن من أكره على الكفر ، فاختار القتل ، أنه أعظم أجراً عند الله تعالى ممن اختار الرخصة .

واختلفوا فيمن أكره على غير القتل من فعل ما لا يحل له .

فقال أصحاب مالك رضي الله عنه : الأخذ بالشدة في ذلك واختيار القتل والضرب أفضل عند الله تعالى من الأخذ بالرخصة .

وقال غيرهم : إذا هُدّد بقتل ، أو قطع ، أو ضرب يخاف منه التلف ، فله أن يفعل ما أكره عليه من شرب خمر أو أكل لحم خنزير ، فإن لم يفعل حتى قتل ، خِفنا عليه أن يكون آثماً ، لأنه كالمضطر .

أقول : لكن هناك فرقاً واضحاً بينه وبين المضطر ، إذ هو في مقام إرغام للعدو ، وإظهارِ جَلَد ، وليس في المضطر شيء من ذلك . والله تعالى أعلم .

القلب موضع الكفر والنفاق

وكما أن القلوب موضع الإيمان ، فهي أيضاً موضع لضده ، وهو الكفر والنفاق والارتياب .

قال الله تعالى : ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله ، لنصّدّقن ولنكوننّ من الصالحين .**

فلما أتاهم من فضله بخلوا به ، وتولوا وهم معرضون .

فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه ، بما أخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون ﴾[1] .

وقال تعالى يندّد على المنافقين في شكهم وارتيابهم ، وينفي عنهم الإيمان :

﴿ **إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر**[2]**، وارتابت قلوبهم**[3] **فهم في ريبهم يترددون**﴾[4] .

---

(١) ٧٥ ـ ٧٧ ـ التوبة .
(٢) أي من القعود عن الجهاد .
(٣) أي شكت في أمر الدين .
(٤) ٤٥ ـ التوبة .

أي في شكهم يذهبون ويرجعون .

والمؤمن الحق راسخ اليقين ، لا يرتاب في أمر دينه ، ولا يعتري إيمانه شك ، ويجاهد في سبيل الله بماله ونفسه :

قال الله تعالى :

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون ﴾[1] .

☆ ☆ ☆

(١) ١٥ ـ الحجرات .

القلب موضع النية والإخلاص

لا عمل مقبول عند الله تعالى إلا بنية صالحة ، وإخلاص لله تعالى فيه وصدق :

قال الله تعالى : ﴿ **وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ...** ﴾[١] .

وفي الحديث الشريف : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »[٢] .

وعن جابر رضي الله عنه أنه قال :

كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال : « إن بالمدينة لرجالاً ، ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم، حبسهم المرض».

وفي رواية : « إلا شركوكم في الأجر »[٣] .

---

(١) ٥ ـ البينة .

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) مسلم .

وعن أنس رضي الله عنه قال : رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال : « إن أقواماً خلفَنا بالمدينة ، ما سلكنا شعباً ـ طريقاً في جبل ـ ولا وادياً ، إلا وهم معنا ، حبسهم العذر »[١] .

فهؤلاء المتخلفون عن الجهاد لأعذار صادقة ، كانوا يتمنون أن لا تكون لهم هذه الأعذار القاهرة ، ليخرجوا مع رسول الله ﷺ وهم صادقون في هذه النية ، ولصدق نيتهم كان لهم أجر المجاهدين مع الرسول عليه الصلاة والسلام .

وفي الحديث الشريف : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم »[٢] .

وفي القلوب النية في الأقوال والأفعال ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

وسئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ـ أي غَيْرة ومحاماة عن عشيرته ـ ويقاتل رياء ، أيٌّ ذلك في سبيل الله ؟

---

(١) البخاري .　　(٢) مسلم .

فقال رسول الله ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »[١] .

ففي ذلك بيان أن الأعمال والأقوال تحسب بالنيات الصالحة وأن الفضل الوارد في المجاهدين ، يختص بمن ينوي في قتاله إعلاء كلمة الله ، ونصرة دين الله .

والإخلاص في الأعمال والأقوال كالإيمان ، هبة من الله تعالى يختص بها السعداء من عباده .

ففي الحديث القدسي الشريف :

« الإخلاص سر من سري ، استودعته قلبَ من أحببتُ من عبادي »[٢] .

عزم القلب :

ومما يدل على أن النية موضعها القلب ، وأن القلب هو موضع العزم على القول أو الفعل ، قوله ﷺ :

«إذا التقى المسلمان بسيفهما ، فالقاتل والمقتول في النار».

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) رواه القشيري .

قيل : يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟

قال : « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه »[١] .

فالمقتول وإن كان سبق عليه القتل ، فهو بحكم القاتل ، لتصميمه وعزمه على القتل .

وفي الحديث الشريف : « صلاة الرجل في جماعة ، تزيد على صلاته في سوقه وفي بيته بِضعاً[٢] وعشرين درجة ، وذلك أن أحدهم ، إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد ، لا يريد إلا الصلاة ، لا يَنهَزه ـ أي لا يخرجه ولا يُنهضه ـ إلا الصلاة ، لم يخطُ خطوة ، إلا رُفع له بها درجة ، وحُطّ عنه خطيئة ، حتى يدخل المسجد ... »[٣] .

وفي الحديث الشريف : « ... وإنك لن تنفق نفقة ، تبتغي بها وجه الله ، إلا أُجرتَ بها ، حتى ما تجعل في فيّ امرأتك[٤] ـ أي في فمها ـ » .

إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها ـ يقصد بها وجه الله

(١ ، ٣ ، ٤) البخاري ومسلم .

(٢) البضع : من الثلاث إلى التسع .

تعالى ـ فهي له صدقة[١] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ عن ربه تبارك وتعالى ، قال :

« إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيّن ذلك :

فمن همّ بحسنة ، فلم يعملها ، كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة . وإن همّ بها فعملها ، كتبها الله عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، وإن همّ بسيئة ، فلم يعملها ، كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة . وإن همّ بها فعملها ، كتبها الله سيئة واحدة »[٢] .

وفي الحديث الشريف : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار ، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل ، فسدّت عليهم الغار .

فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة ، إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم .

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) البخاري ومسلم .

قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبِق ـ أي لا أقدم في الشرب قبلها ـ أهلاً ولا مالاً من رقيق وخادم ـ فنأى بي طلب الشجرث يوماً ، فلم أُرِحْ عليهما ـ أي لم أرجع إليهما ـ حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما ، وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت ـ والقدح على يدي ـ أنتظر استيقاظهما ، حتى بَرِق الفجر ـ أي ظهر ضوؤه ـ والصبية يتضاغَون ـ يصيحون من الجوع ـ عند قدمي ، فاستيقظا فشربا غَبوقهما .

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة .

فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر : اللهم إنه كانت لي ابنة عم ، كانت أحب الناس إلي .

وفي رواية : كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء ، فأردتها على نفسها ، فامتنعت مني . حتى ألَمّتْ بها سنة من السنين ـ أي نزلت بها سنة مجدبة ـ فجاءتني ، فأعطيتها

عشرين ومئة دينار ، على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلتْ ، حتى إذا قدرت عليها، وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها قالت:

اتقِ الله ولا تفُضَّ الخاتم إلا بحقه ـ أي تُنزل عفافي إلا بالزواج ـ فانصرفت عنها ، وهي أحب الناس إلي ـ وتركت الذهب الذي أعطيتها .

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه .

فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء ، وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ، ترك الذي له وذهب ، فثمَّرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين فقال :

يا عبد الله أدِ إليّ أجري .

فقلت : كل ما ترى من أجرك : من الإبل والبقر والغنم والرقيق .

فقال : يا عبد الله لا تستهزىء بي !

فقلت : لا أستهزىء بك .

فأخذه كله فاستاقه ، فلم يترك منه شيئاً .

اللهم إن كنتَ فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرُج عنا ما نحن فيه .

فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون[١] .

فأنت ترى جلياً واضحاً من هذا الحديث الشريف ، أن الله تبارك وتعالى ، فرَّج عنهم الكرب الذي أهمهم وأغمهم ، لما انطوت عليه قلوبهم من الإخلاص في أعمالهم ، وفي فعلهم وتركهم .

النية في الأيمان :

إن الله تعالى لا يؤاخذ في لغو اليمين ، ولكن يؤاخذ فيما انعقد عليه القلب :

قال الله تعالى : ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم، والله غفور حليم** ﴾[٢].

وقال تعالى : ﴿ **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان** ﴾[٣] .

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ٢٢٥ ـ البقرة .

(٣) ٨٩ ـ المائدة .

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

أيمان اللغو ما كانت في المراء والهزل والمزاح ، والحديث الذي لا ينعقد عليه القلب ، كقول الرجل : لا والله ، وبلى والله ...

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إذا حلف الرجل على الشيء ، لا يظن إلا أنه إياه . فإذا ليس هو ، فهو اللغو ، وليس فيه كفارة .

وقال مالك وبعض السلف : اللغو ما يحلف به على الظن ، فيكون خلافه .

وفي الموطأ قال مالك رضي الله عنه : أحسن ما سمعت في هذا أن اللغو حلف الإنسان على الشيء يستيقن أنه كذلك ، ثم يوجد بخلافه ، فلا كفارة فيه ، والذي يحلف على الشيء ، وهو يعلم أنه فيه آثم كاذب ، ليرضي به أحداً ، أو يعتذر لمخلوق ، أو يقتطع به مالاً ، فهذا أعظم من أن يكون فيه كفارة .

وإنما الكفارة على من حلف ألا يفعل الشيء المباح له فعله ، ثم يفعله ، أو حلف أن يفعله ، ثم لا يفعله .

قال العلماء رضي الله عنهم : الأيمان في الشريعة على أربعة أقسام : يمينان يُكفّران ، ويمينان لا يكفّران .

فاليمينان اللذان يكفران : فالرجل يحلف : « والله لا أفعل كذا وكذا » فيفعل . والرجل يقول : « والله لأفعلنّ كذا وكذا » فلا يفعل .

واليمينان اللذان لا يكفّران فالرجل يحلف : « والله ما فعلت كذا وكذا » وقد فعل ، والرجل يحلف : « لقد فعلت كذا وكذا » ولم يفعله .

وقال الشافعي رضي الله عنه : يكفّر في الجميع .

بم يكون الحلف ؟

الحلف يكون بالله سبحانه وتعالى ، وأسمائه الحسنى ، كالرحمن والرحيم ، والسميع والبصير ، والعليم والحليم ...

وبصفاته العليا : كعزة الله ، وقدرة الله ، وعلم الله ، وإرادة الله ، وكبرياء الله ، وعظمة الله ... وسائر صفات ذاته .

فالحالف بها ، كالحالف بالذات .

كفارة اليمين :

قال الله تعالى : ﴿ **فكفارته : إطعام عشرة مساكين ، من أوسط ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة .**

فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم ، إذا حلفتم ، واحفظوا أيمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ﴾[1] .

اليمين الغموس :

اليمين الغمّوس هي التي تغمس صاحبها في النار .

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال :

يا رسول الله ما الكبائر ؟

فقال : « الإشراك بالله » .

---

(١) ٨٩ ـ المائدة .

قال : ثم ماذا ؟

قال : « عقوق الوالدين » .

قال : ثم ماذا ؟

قال : « اليمين الغموس » .

قال : وما اليمين الغموس ؟

قال : « التي يقتطع بها مال امرىء مسلم ، هو فيها كاذب »[١] .

وفي الحديث الشريف : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحرّم عليه الجنة » .

فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟

قال : « وإن كانا قضيباً من أراك[٢] ـ وهو عود السواك ـ .

واستحق صاحب اليمين الغموس هذا الوعيد الشديد ، لأنه

---

(١) البخاري .

(٢) مسلم .

جمع فيها الكذب ، واستحلال مال غيره ، والاستخفاف بالله تعالى . والتهاون باليمين ، وتعظيم الدنيا : فأهان ما عظّمه الله ، وعظّم ما حقّره الله ، وحسبك .

في التبني :

ومما يدل على أن القلب موضع النية ، قوله تعالى في موضوع التبني :

﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم ، فإخوانكم في الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكنْ ما تعمّدت قلوبكم ، وكان الله غفوراً رحيماً ﴾[1] .

نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه .

قال ابن عمر رضي الله عنهما : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد .

وفي هذا دليل على أن التبني كان معمولاً به في الجاهلية

---

(١) ٥ ـ الأحزاب .

والإسلام ، يتوارَث به ويُتناصَر ، إلى أن نسخ الله تعالى ذلك بقوله :

﴿ ادعوهم لآبائهم ، هو أقسط عند الله ﴾ أي أعدل .

فرفع الله حكم التبني ، ومنع منه إطلاق لفظه ، وأرشد بقوله إلى أن الأولى والأعدل ، أن ينسب الرجل إلى أبيه نسباً ، فإن لم يُعلَم أبوه قالوا له : « يا أخي » أي في الدين .

قال الله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ... ﴾ .[1]

فلو نسبه إنسان إلى أبيه من التبني ، فإن كان على جهة الخطأ ، وهو أن يسبق لسانه إلى ذلك من غير قصد ، فلا إثم ولا مؤاخذة ، لقوله تعالى :

﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم ... ﴾ .

---

(١) ١٠ ـ الحجرات .

النية في التوبة :

ومما يدل على أن القلب موضع النية ، أن من شروط التوبة النصوح العزم على أن لا يعود إلى المعصية ، وهذا العزم نية جازمة من القلب .

النية في العبادات :

والأصل في نية العبادات أن تكون في القلب .

وإنما شرعت فيها النية ، لتتميز بها العبادات عن العادات .

فمن غسل وجهه وأطرافه ومسح رأسه ، إنما ينال بذلك أجر الطاعة ، إذا فعله بنية الطاعة .

ومن قام وقعد ، وركع وسجد ، وأتى بسائر أعمال الصلاة وأقوالها ، إنما ينال أجر المصلي ، إذا فعل ذلك بنية الصلاة ، لا الرياضة ولا اللعب ...

النية في الأقوال :

وكذلك الأمر في الأقوال :

فإن نوى بتلاوة القرآن وذكر الرحمان ، والصلاة على النبي ﷺ ، القربة والطاعة ، كان له فيها أجر الطاعة .

وإن نوى فيها الرياء والسمعة والرغبة في محمدة الناس ، فلا أجر له فيها ، بل كان له المقت من الله والسخط .

وإن نوى بالأقوال المباحة ، مؤانسة الضيف ، وحسن معاشرة الزوجة ، وملاطفة الطفل ... كان له في ذلك أجر .

وإن لم تكن له في ذلك نية صالحة ، كان من فضول القول واللغو والهذر ، ولم يكن له فيه أجر .

وإن كذب في القول ، بنية الإصلاح بين الناس ، كان له في كذبه أجر .

وإن جاء بالكذب لأجل الكذب ، وقلب الحقائق عن وجهها الصحيح ، كان عليه وزر .

ففي الحديث الشريف : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، فينمي ـ أي يبلّغ ـ خيراً ، أو يقول خيراً »[1] .

---

(١) البخاري ومسلم .

وكذلك الغيبة ، إن قصد بها الاستفتاء ، أو الاستعانة على تغيير منكر ، أو النصيحة ، أو نحو ذلك ، فجائزة ، ولا إثم فيها .

وإن قصد بها بيان معايب الناس ، وذكرهم بما يكرهون ، كانت غيبة محرمة ، وكان عليها فيها وزر .

النية في الأفعال :

وكذلك النية في الأفعال ، إن قصد بها مرضاة الله تعالى ، أُجر عليها ، وإن قصد بها المباح ، فلا أجر ولا وزر ، وإن قصد فيها المعصية أثم ، وكان من العاصين .

مثال ذلك الحيلة فيما يؤدي إلى إبطال حكمة شرعية :

كالحيلة في الزكاة : بإخراج الغني المال من ملكيته قبل حولان الحول .

وكالحيلة في الربا للتعامل بالربا ، فيما صورته صورة شرعية كبيع وشراء .

وكالحيلة في عقد النكاح ، بعقد صوري بين رجل وامرأة ،

لتقف أمامه بلا حجاب ، أو لتسافر معه .

وكالنيـة في الهجر والقطيعـة ، فـإن كان لأمر دنيـوي ، فحرام .

جـاء في الحـديث الشريف : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخـاه فـوق ثـلاث ليـال : يلتقيـان فيُعرض هـذا ، ويُعرض هـذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام »[١] .

وإن كانت النية في الهجر لله ، كان له من الأجر ، أكثر مما يؤجر عليه في أعمال ظاهرة ، من نفل صلاة ونفل صيام ...

ففي الحديث الشريف : « إن أوثق عرا الإيمـان ، أن تحب في الله ، وتبغض في الله »[٢] .

« من أحـب لله . وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنـع لله ، فقد استكمـل الإيمان »[٣] .

وكالنيـة في الحـزن على المصيبـة ، ومن ذلـك ترك بعض

---

(١) البخاري ومسلم .
(٢) أحمد والبيهقي .
(٣) أبو داود .

النساء الزينة حزناً على غير زوج ، أما على الزوج بأربعة أشهر وعشراً .

وعن زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنهما ، قالت :

دخلت على أم حبيبة رضي الله عنها ، زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه ، فدعت بطيب فيه صُفرة خَلوق ـ أي طيب ـ أو غيرِه ، فدهنت منه جارية ، ثم مست بعارضيها ، ثم قالت :

والله مالي بالطيب من حاجة ، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر :

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ، أن تُحدَّ على ميت فوق ثلاث ليال ، إلاعلى زوج أربعةَ أشهر وعشراً » .

قالت زينب : ثم دخلت على زينب بنت جحش رضي الله عنها، حين توفي أخوها فدعت بطيب، فمسّت منه، ثم قالت :

أما والله مالي بالطيب من حاجة ، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر :

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ، أن تحدّ على ميت فوق ثلاث ، إلا على زوج ، أربعةَ أشهر وعشراً »[١] .

ففي حزن البنات على آبائهم وأمهاتهم ، والأخوات على إخوتهم وأخواتهم ، أكثر من ثلاثة أيام ، إثم ومؤاخذة شرعية .

وفي مراعاة كثير من النساء خواطر الأقارب والأرحام والصديقات عند لمصائب ، في ترك الزينة أكثر من ثلاثة أيام ، إثم لأنه ترك للزينة بنية الحزن ، وهذا الحزن غير مشروع .

فليتنبّه لذلك النساء المسلمات ، ولا سيا الصالحات ، فذلك مما يُغفَل عنه .

مثال أخير :

وأخيراً : لو أن رجلاً ضرب بجمُع يده زجاج نافذة فكسرها ، فلا نستطيع لأول وهلة ، أن نحكم على فعله أنه خير أو شر ، حتى نعلم ماذا أراد بفعله .

فإن كان فعل ذلك لمجرد إتلاف الزجاج ، أو لإيذاء صاحبه

---

(١) البخاري ومسلم .

كان فعله حراماً .

وإن أراد بفعله هذا أن يدخل إلى ذلك المكان المغلق ، من هذه النافذة لإنقاذ مال أو طفل من حريق مثلاً ، كان فعله فضيلة ، يشكر عليها ويؤجر .

وإنما الأعمال بالنيات ...

لا إثم في الخطأ والنسيان :

ومما يدل على أن النية موضعها القلب ، أنه لا إثم في الخطأ والنسيان والإكراه .

ففي الحديث الشريف : « إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »[١] .

فلا إثم على صائم مثلاً ، إذا أكل أو شرب بعد طلوع الفجر ظاناً بقاء الليل وأنه وقت سحر ، كما لا إثم عليه إذا أكل مساء أو شرب مساء ، ظاناً غروب الشمس .

ولا إثم عليه كذلك إذا سبق ماء المضمضة إلى حلقه

(١) ابن ماجه والطبراني والحاكم .

فابتلعه ، وإن كان عليه القضاء في ذلك كله .

ولا إثم عليه أيضاً إذا أكل أو شرب نهاراً ، ناسياً أنه صائم ، ولا قضاء عليه كذلك ، لورود النص فيه :

ففي الحديث الشريف : « إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليُتمَّ صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه »[١] .

ولا إثم عليه أيضاً لو أكرهه ظالم على الإفطار فأفطر .

لا إثم في ذلك كله ، إذ لا نية في الفعل مع الخطأ والنسيان والإكراه ، ولا عزم للقلب على الإثم في هذه الأحوال .

☆ ☆ ☆

---

(١) البخاري ومسلم .

القلب موضع الأمانة

في الحديث الشريف : « إن الأمـانـة نزلت في جَذْر قلوب الرجـال، ثم نزل القرآن، فعلمـوا من القرآن وعلمـوا من السنـة..».

ثم حدَّث عن الأمانة فقال : « ينام الرجل النومة ، فتقبض الأمـانــة من قلبــه ، فيظـلُّ أثرهــا مثـل الـوَكت ـ أي كالأثر اليسير ـ ثم ينام النومة ، فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثلَ أثر المَجْل ـ هو تنفّـطٌ في اليـد ونحوهـا من أثر عمـل وغيره كحجر دحرجتــه على رجلــك ، فينفــط ، فتراه منتبراً ـ أي مرتفعـاً ـ وليس فيـه شيء . ثم أخـذ حصــاة فــدحرجهــا على رجله ـ تمثيلاً لما قال ـ فيصبح الناس يتبايعون ، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة ، حتى يقال :

« إن في بني فلان رجلاً أميناً » .

حتى يقال للرجل : « ما أجلده ، ما أظرفه ، ما أعقله » ! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان[1] .

---

(١) البخاري ومسلم .

القلب موضع التقوى

صيانة القلب من ظن السوءِ :

ومن تقوى القلب أن لا يتّبع صاحبه مالا يعلم ، وأن لا يسيء الظن بمؤمن .

قال الله تعالى : ﴿ **ولا تقْفُ ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسئولاً** ﴾[1] .

أي : أي لا تتّبع مالا تعلم ولا يعنيك ، فأنت مسئول عن سمعك وبصرك وقلبك . فالفؤادُ يسأل عما افتكر فيه واعتقده ، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع .

فليتق الله العبد في سمعه وبصره وقلبه وسائر جوارحه ، وليحذر من سوء الظن بالناس .

ومما يعين على ذلك أن يعلم أن لله تعالى في دهره نفحات ،

---

(١) ٣٦ ـ الإسراء .

قد يتعرض لها العاصي ويدركه فيها خشوع لله تعالى وخضوع . وتكون منه ندامة على ما سلف منه ، وتجري من عينيه في ظلمات الليل دموع . تغسل كثيراً من معاصيه . وتقع من الله تعالى بمكان وتحببه إلى ربه ، وترضيه عنه ، وتكون منه توبة نصوح ، وإنابة صادقة ، فتطيش في هذه اللحظات من تلك النفحات ، جبال من المعاصي والسيئات

ورب العباد أدرى بما في قلوب العباد .

فمن تقوى القلب أن لا يكون منك سوء ظن بمسلم .

من تقوى القلب أداء الشهادة :

ومن تقوى القلب أن لا يكتم صاحبه الشهادة بالحق .

قال الله تعالى : ﴿ **ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ...** ﴾[1] .

خص القلب بالذكر ، إذ الكتم من أفعاله :

وذلك أنه لما عزم بقلبه على أن لا يؤديها ، وترك أداءها

---

(١) ٢٨٣ ـ البقرة .

باللسان ، رجع المأثم إلى القلب واللسان معاً .

الحذر من الإثم :

في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله :

رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : « إني أخاف الله »[١] ...

تعظيم شعائر الله :

ومن تقوى القلب تعظيم شعائر الله تعالى .

قال الله عز وجل : ﴿ **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾[٢] .

والشعائر جمع شعيرة ، وهو كل شيء لله تعالى فيه أمرٌ أشعرَ به وأعلم .

ومنه شعار القوم في الحرب: أي علامتهم التي يتعارفون بها.

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ٣٢ ـ الحج .

ومنه إشعار البَدنة ـ أي الناقة ـ وهو الطعن في جانبها الأيمن ، حتى يسيل الدم ، فيكون علامة لها أنها أهديت إلى الكعبة المعظمة .

فهي تسمى : « شعيرة » بمعنى المشعورة .

فشعائر الله تعالى أعلام دينه ، ولا سيما ما يتعلق بالمناسك ، وتعظيمها من تقوى القلوب .

وأضاف التقوى إلى القلوب ، لأن حقيقة التقوى في القلب .

وقد بيّن رسول الله ﷺ ذلك في قوله :

« ... التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا »[1] ويشير إلى صدره ، وهو موضع القلب .

تعظيم رسول الله ﷺ :

ومن تقوى القلب تعظيم رسول الله ﷺ وغضُّ الصوت في حضرته :

---

(١) مسلم .

قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ...** ﴾[١] .

يغضون أصواتهم : أي يخفضون أصواتهم عنده ، إذا تكلموا أو كلموا غيره بين يديه إجلالاً له .

قال أبو هريرة رضي الله عنه :

لما نزلت : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي...** ﴾.

قال أبو بكر رضي الله عنه : والله لا أرفع صوتي إلا كأخي السِرار ـ أي كالمتحدث بسرّ ـ. والسِرار : المُسارّة . أي كصاحب السرار .

وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه :

لما نزلت : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي...** ﴾.

ما حدّث عمر عند النبي ﷺ بعد ذلك فسمع كلامه ، حتى يستفهم مما يخفض .

---

(١) ٣ ـ الحجرات .

فنزلت : ﴿ **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ...** ﴾ .

أي أخلصها للتقوى ، واختصها بها ، وطهّرها من كل قبيح ، وجعل فيها الخوف من الله والتقوى .

البر والإثم :

وقلب المؤمن المنوَّر بالتقوى خير من يُفتي صاحبه في البر والإثم والشبهات :

عن وابصة بن معبَد رضي الله عنه قال :

أتيت رسول الله ﷺ فقال : « جئتَ تسأل عن البر ؟ » .

قلت : نعم .

فقال : « استفتِ قلبك ، البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك »[1] .

☆ ☆ ☆

---

(١) أحمد والدارمي .

القلب موضع الذكرى

والقلب موضع الذكرى والعظة .

ذكَرَ الله تعـــالى في القرآن الكريم هـلاك بعض الأمم السابقة ، بسبب تكذيبهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثم قال سبحانه يخاطب كفار قريش :

﴿ ولقد مكّنّاهم فيما إنْ مكّنّاكم فيه ، وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء ، إذ كانوا يجحدون بآيات الله ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾[1] .

يقول الله تبارك وتعالى : إنه منحهم السمع والأبصار والأفئدة : أي الحواس والقلوب التي ينبغي أن يتعظوا بها ويتذكروا فلم يتعظوا بها ولم يتذكروا .

وقال تعالى في موطن آخر :

---

(١) ٢٦ ـ الأحقاف .

﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ، هم أشد منهم بطشاً ، فنقّبوا في البلاد هل من محيص ، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾[١] .

فالله تعالى أهلك قبل قريش أمماً كثيرة ، هم أشد منهم بطشاً وقوة ، فساروا في البلاد طلباً للمهرب من الهلاك ، فلم يستطيعوا المهرب ، وفي ذلك عظة وذكرى لمن كان له قلب ، أي عقل يتدبر به .

وكنّى بالقلب عن العقل ، لأنه موضعه .

حسن الاستماع :

وحُسن الاستماع للموعظة فضيلة مدح الله تعالى عليها فقال :

﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب ﴾[٢] .

وذم على خلاف هذا الوصف فقال :

---

(١) ٣٦ ـ ٣٧ ق .

(٢) ١٣ ـ الزمر .

﴿ نحن أعلم بما يستمعون به ، إذ يستمعون إليك ، وإذ هم نجوى ، إذ يقول الظالمون : إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾[١] .

فكانوا لا يستمعون بقلوبهم ، بل يستمعون وهم يتناجون بالسوء ، وكانت نجواهم :

« إنه مجنون ، وإنه ساحر ، وإنه يأتي بأساطير الأولين ... » .

ومدح الله تعالى المنصت لاستماع القرآن الكريم ، مع حضور العقل ، وأمر عباده بذلك ، فقال :

﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾[٢] .

وأمر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام ، حين أوحى إليه . قال : ﴿ فاستمعْ لما يوحى ﴾[٣] .

---

(١) ٤٧ ـ الإسراء .
(٢) ٢٠٤ ـ الأعراف .
(٣) ١٣ ـ طه .

لأن الفهم عن الله تعـــالى ، لا ينـــال إلا بحسن الاستماع ، والإصغاء إليه بالقلب .

وفي الحديث الشريف : « اقرءوا القرآن مـا ائتلفت عليـه قلوبكم ... »[١] .

أي ما حضرت فيه القلوب ، وتدبرت معناه .

روي عن وهب رحمه الله تعالى أنه قال :

من أدب الاستماع : سكـون الجـوارح ، وغضّ البصر ، والإصغاء بالسمع ، وحضور العقل ، والعزم على العمل ، وذلـك هو الاستماع كما يحب الله تعالى ، وهو أن يكفّ العبد جوارحه ، ولا يشغلَها ، فيشغلَ قلبه عمـا يسمع ، ويغضّ طرفـه ، فلايلهو قلبه بما يرى ، ويحصر عقله ، فلا يحدّث نفسـه بشيء سوى مـا يستمع إليه ، ويعزم على أن يفهم ، فيعملَ بما يفهم .

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى :

أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفـظ، ثم العمـل، ثم النشر.

---

(١) البخاري .

فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ بنية صادقة على ما يحب الله تعالى ، أفهم كما يجب ، وجعل له في قلبه نوراً .

سوء الاستماع :

وذم الله تعالى الغافلين ، اللاهية قلوبهم عن العظة والعبرة والذكرى ، فقال :

﴿ اقترب للناس حسابهم ، وهم في غفلة معرضون . ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدَث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهيةً قلوبهم ... ﴾[1] .

أي ساهية قلوبهم ، معرضة عن ذكر الله ، متشاغلة عن التأمل والتفهم .

غافل القلب لا يطاع :

وقد نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن طاعة من أغفل قلبه عن ذكره .

---

(١) ١ ـ ٣ ـ الأنبياء .

قال الله تعالى : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه وكان أمره فُرُطاً** ﴾[1] .

أي إسرافاً ، أو تضييعاً وهلاكاً .

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه :

جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ فقالوا :

يا رسول الله : إنك لو جلست في صدر المجلس ، ونحيّت عنا هؤلاء ، وأرواحَ جبابهم - يعنون سلمان وأبا ذر ، وفقراء المسلمين ، وكانت عليهم جباب الصوف ، لم يكن عليهم غيرها - جلسنا إليك ، وحادثناك ، وأخذنا عنك .

فأنزل الله تعالى : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ...** ﴾ حتى بلغ : ﴿ **إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سُرادِقها** ﴾ - أي لهبها ودخانها ، يتهددهم بالنار .

---

(١) ٢٨ - الكهف .

فقـام النبي حتى أصـابهم - أي رآهم - في مـؤخر المسجـد يذكرون الله فقال :

الحمد لله الذي لم يُمتْني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجـال من أمتي ، معكم المحيا ، ومعكم الممات .

وعن خباب بن الأرتّ رضي الله عنه ، قال :

جـاء الأقرع بن حـابس التميمي ، وعُيينـة بن حصن الفَـزاري فـوجـدا رسـول الله ﷺ ، مـع صهيب ، وبـلال ، وعمـار ، وخبـاب ، قـاعـداً في نـاس من الضعفـاء من المـؤمنين ، فلما رأوهم حول النبي ﷺ ، حقروهم ، فأتوا فخلوا به وقالوا :

إنا نريد أن تجعل لنا منـك مجلساً ، تعرف لنـا بـه العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك ، فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبُد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك ، فإذا نحن فرغنـا ، فاقعد معهم إن شئت .

قال : نعم .

قالوا : فاكتب لنا عليك كتاباً .

قال : فدعا بصحيفة ، ودعا علياً رضي الله عنه ليكتب ، ونحن قعود في ناحية ، فنزل جبريل عليه السلام ، فقال :

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردَهم فتكون من الظالمين ﴾[1] .

واعظ القلب :

في الحديث الشريف : « إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له واعظاً من قلبه ، يأمره وينهاه »[2] .

فعظة القلب الذاكر من نفسه ، وغفلة القلب عن ذكر الله والعظات ، سبب إعراضه عنها ، وحرمانه منها ، والإصغاء إلى المواعظ بالآذان والقلوب معاً هو النافع المجدي .

ما خرج من القلب وقع في القلب :

على أن القلب الذي ينتفع بالذكرى ، يكون أقرب إلى

---

(١) ٥٢ ـ الأنعام ، ورواه ابن ماجه . (٢) الديلمي .

الانتفاع بها ، إذا صدرت عن قلب تقي صالح مخلص ، متحقق بما يقول ، لأن كل كلام يبرز ، وعليه كسوة القلب الذي برز منه .

فمن تكلم بإخلاص ، كان لكلامه نور ، ووقع في قلب سامعه موقع قبول ، وما خرج من القلب وقع في القلب ، وما خرج من اللسان ، لم يجاوز الآذان .

وأنت إذا سمعت مرائياً يتحدث عن الإخلاص ويحضّ عليه ، أو بخيلاً يتحدث عن الجود ويرغب فيه ، أو جباناً يتكلم في الشجاعة ويحثّ عليها ، أو غير تقي يأمر الناس بالتقى ... سمعت كلامهم جافاً لا روح فيه ، سمجاً غير مقبول ثقيلاً على النفس ، لا تستحليه أذن ، ولا يقع في قلب .

☆ ☆ ☆

ترويح القلب

هـذا وينبغي ترويح القلب بين آن وآخر ، وأن لا يُحمّـل مـالا يطيق ، لأن كثرة العظـات ، تـؤدي إلى سـآمـة وملـل ، والاستمرار في الطاعات مما يعجز عنه الإنسان :

﴿ **وخلق الإنسان ضعيفاً** ﴾[١] .

لهذا جاء في الحديث النبوي الشريف :

« عليكم من الأعمال ما تطيقون ... »[٢] .

وعن أبي وائل أنه قال :

كان ابن مسعـود رضي الله عنـه ، يـذكّرنـا في كل خميس مرة .

فقال له رجل : يا أبا عبـد الرحمن ، لَوددت أنـك ذكّرتنـا كل يوم .

فقـال : إنـه يمنعني من ذلـك ، أني أكره أن أُملّكم ، وإني

---

(١) ٢٨ ـ النساء .

(٢) البخاري ومسلم .

أتخولكم الموعظة - أي أتعهدكم بها - كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها ، مخافة السآمة علينا[١] .

وفي الحديث الشريف : « روّحوا القلوب ساعة فساعة »[٢] .

أي أريحوها بعض الأوقات من مكابدة العبادات، بمباح لا عقاب فيه ولا ثواب .

وقال علي كرم الله وجهه : أجِمُّوا هذه القلوب - يعني أريحوها - فإنها تملُّ كما تمل الأبدان .

أي تكلّ وتتعب .

☆ ☆ ☆

(١) البخاري ومسلم .

(٢) أبو داود .

القلب موضع المحبة والبغض والكراهية

قال الله تعالى في ذم بني إسرائيل ، حين اتخذوا العجل إلهاً من دون الله :

﴿ **وأُشربوا في قلوبهم العجلَ بكفرهم ...** ﴾[١] .

أي أحبوا العجل ، وتمكن أمره من قلوبهم .

وقد كان المنافقون يتظاهرون للمسلمين بالولاء والمحبة ، فكذبهم الله تعالى ، وبيّن أن قلوبهم لا تنطوي على محبة المسلمين وولائهم .

قال الله تعالى : ﴿ **يرضونكم بأفواههم ، وتأبى قلوبهم ...** ﴾[٢] .

أي يقولون بألسنتهم ما يُرضي ظاهره ، وقلوبهم ملأى بالضغينة والكراهية .

وقال تعالى في المنافقين أيضاً :

---

(١) ٩٣ ـ البقرة .　　(٢) ٨ ـ التوبة .

﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ... ﴾[١] .

أي قلوبهم متفرقة ، فأهل الباطل مختلفة آراؤهم ، مختلفة أهواؤهم . وقلوبهم مجتمعة على بغض أهل الحق وعداوتهم .

وقال تعالى يخاطب المؤمنين في غزوة الفتح ـ فتح مكة المكرمة ـ ويحضهم على قتال المشركين :

﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويُخزِهم ، وينصرْكم عليهم ويَشفِ صدور قوم مؤمنين ويُذهبْ غيظ قلوبهم ﴾[٢] .

وفي هذا دليل على أن غيظ المشركين في قلوبهم على المؤمنين كان شديداً ، وأن الله تعالى شفى صدور المؤمنين من بني خُزاعة حلفاء النبي ﷺ ، وهم الذين اعتدى عليهم أشرار من بني بكر حلفاء قريش ، وبذلك نقضت العهد الذي كان بينها وبين الرسول ﷺ في صلح الحديبية ، وكان ذلك سبب الفتح الأعظم .

---

(١) ١٤ ـ الحشر .

(٢) ١٤ ـ ١٥ ـ التوبة .

النهي عن محبة الكافرين :

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة[١] من دونكم ، لا يألونكم خبالاً[٢] .**

ودُّوا ما عنتّم[٣] ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ... ﴾[٤] .

نهى الله عز وجل المؤمنين بهذه الآية ، أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء خواصَّ دُخَلاء ، يفاوضونهم في الآراء ، ويُسندون إليهم أمورهم .

ثم بيّن السببَ الذي لأجله نهى عن مواصلتهم ، فقال :

﴿ **لا يألونكم خبَالاً** ﴾ أي لا يتركون الجهد في فسادكم ، فهم إن لم يقاتلوكم في الظاهر ، لا يتركون الجهد في المكر والخديعة ، لأن قلوبهم ملأى ببغضكم وعداوتكم ، وما يبطنون من البغضاء أكثر مما يظهرون بأفواههم .

---

(١) أي خواصّ .

(٢) أي لا يقصرون في إفساد أمركم .

(٣) أي أحبوا وقوعكم في المشقة .

(٤) ١١٨ ـ آل عمران .

سلامة صدور أهل الجنة :

ومما يدل على أن القلب هو موضع الغل والحقد قوله تعالى في أهل الجنة :

﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلّ ... ﴾[١] .

فما يُنعم الله تعالى به على أهل الجنة ، نزْع الغل من صدورهم ، فلا حقد في الجنة ولا كراهية ولا بغضاء .

من خير الناس ؟:

قيل لرسول الله ﷺ : من خير الناس ؟

قال : « كل مؤمن مخموم القلب » .

قيل : وما مخموم القلب ؟

فقال : « هو التقي النقي ، الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غلّ ولا حسد »[٢] .

☆ ☆ ☆

---

(١) ٤٣ ـ الأعراف .

(٢) ابن ماجه .

مرض القلب وزيغه

والقلوب تمرض كما تمرض الأبدان ، وتزيغ كما تزيغ الأبصار.

ومن مرض القلب الشك والريب والنفاق .

قال الله تعالى في قوم موسى عليه السلام :

﴿ **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ...** ﴾[١] .

أي : فلما مالوا عن الحق ، أمال الله قلوبهم عن الهدى ، وجعل الضلالة فيها عقوبة لهم على فعلهم .

وقال تعالى في المنافقين : ﴿ **وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول : أيكم زادته هذه إيمانا ؟**

فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون .

وأما الذين في قلوبهم مرض ، فزادتهم رجساً إلى رجسهم[٢] **، وماتوا وهم كافرون** ﴾[٣] .

---

(١) ٥ ـ الصف .

(٢) أي كفراً إلى كفرهم .

(٣) ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ التوبة .

وقال تعالى : ﴿ **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض : غرَّ هؤلاء دينهم ...** ﴾[١] .

فهم لمرض قلوبهم يظنون أن المسلمين مخدوعون بدينهم ، فهم يقتحمون الصعاب من أجله ، ويبذلون الأرواح في سبيله .

وأشارت الآية الكريمة إلى أن قولهم هذا ، كان في غزوة بدر ، حين التقى الجمعان وتراءت الفئتان .

وقال تعالى : ﴿ **لقد تاب الله على النبي**[٢] **والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العُسرة ، من بعد ما كادَ يزيغ قلوب فريق منهم ...** ﴾[٣] .

أي من بعد ما همَّ فريق منهم بالتخلف عن الجهاد ، والعصيان في القعود عنه ، وهذا من زيغ القلوب .

---

(١) ٤٩ ـ الأنفال .

(٢) توبة الله تعالى على النبي كانت لأجل إذنه للمنافقين في القعود .

(٣) ١١٧ ـ التوبة .

من علامات مرض القلب وزيغه :

١ ـ اتباع المتشابه من القرآن الكريم .

قال الله تعالى : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب ، منه آيات مُحكَمات ، هنّ أمّ الكتاب ، وأُخرُ متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون : آمنا به ، كلّ من عند ربنا** ﴾[١] .

فسليم القلب من الزيغ ، الصادق الإيمان ، يؤمن به من غير تشبيه ولا تعطيل . وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله :

﴿ **والراسخون في العلم يقولون : آمنا به ، كل من عند ربنا** ﴾ .

٢ ـ ومن علامات مرض القلب : النفاق .

وهو إظهار الإيمان باللسان ، وكتمان الكفر بالقلب .

---

(١) ٧ ـ آل عمران .

قال الله تعالى في ذم المنافقين : ﴿ **ومن الناس من يقول : « آمنا بالله وباليوم الآخر » وما هم بمؤمنين .**

يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ... ﴾[١] .

وقال تعالى في ذميم وصفهم :

﴿ **يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ...** ﴾[٢] .

﴿ **يحذر المنافقون أن تُنزّل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم** ﴾[٣] .

وقد سميت سورة التوبة : « الفاضحة » لأنها فضحت المنافقين ، و « الحفّارة » لأنها حفرت ما في قلوب المنافقين فأظهرته .

٣ ـ ومن علامات مرض القلب : التمرد على حكم الله والرسول .

---

(١) ٨ ـ ١٠ البقرة .
(٢) ٩٧ ـ آل عمران .
(٣) ٦٤ ـ التوبة .

قال الله تعالى في ذم المنافقين :

﴿ ويقولون : « آمنا بالله وبالرسول ، وأطعنا » ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين .

وإذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، إذا فريق منهم معرضون .

وإن لم يكن لهم الحق ، يأتوا إليه مذعنين .

أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا ، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل أولئك هم الظالمون ﴾[1] .

روى أصحاب السير ، أن رجلاً من المنافقين اسمه « بِشر » كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض ، فدعاه اليهودي إلى التحاكم عند رسول الله ﷺ ، وكان المنافق مبطلاً ، فأبى من ذلك ، وقال :

إن محمداً يحيف علينا ـ أي يجور علينا في الحكم ويظلم ـ

---

(١) ٤٧ ـ ٥٠ ـ النور .

فلنحكّم كعب بن الأشرف . فنزلت هذه الآيات فيه .

فمن شـــأن المـؤمن السليم القلب ، أن يـــذعن لحكم الله والرسول ، ولهذا جاء بعد تلك الآيات قوله تعالى :

﴿ إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا : « سمعنا وأطعنا » وأولئك هم المفلحون ﴾[1] .

٤ ـ ومن علامات مرض القلب : المسارعة في موالاة الكافرين .

فالمؤمن السليم القلب يحب في الله ويبغض في الله ، ولا يوالي الكافرين بحال .

٥ ـ ومن علامات مرض القلب : الطمع في المعصية والرغبة فيها :

قال الله تعالى مخاطباً أمهات المؤمنين رضي الله عنهن :

﴿ يا نساء النبي لستُنَّ كأحد من النساء إن

---

(١) ٥١ ـ النور .

اتقيتُنّ ، فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ، وقلْنَ قولاً معروفاً ﴾[١] .

فهنَّ رضي الله عنهن ، لسْنَ كسائر النساء ، لما منحهن الله تعالى من صحبة الرسول ﷺ، ولعظيم محلهن منه، ولنزول القرآن في حقهن ، وبهذا أقامهن الله تعالى قدوة صالحة لسائر النساء ، فنهاهن عن لين القول ، وأمرهن أن يكون قولهن جزلاً وكلامهن فصلاً ، وأن لا يكون على وجه يُظهر في القلب علاقة بما يَظهر عليه من اللين ، كما كان الحال عليه في نساء العرب .

وذلك لأن لين النساء في القول ، يجعل مريض القلب ، متشوفاً للفسق والفجور .

فالمرأة تندب إذ خاطبت الرجال إلى الغلظة في القول من غير رفع صوت لأنها مأمورة بخفض الكلام ، وبالقول المعروف الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس .

ومما يدل على أن القلب المريض يطمع في المعصية ويميل

---

(١) ٣٢ ـ الأحزاب .

إليها ، قول النبي ﷺ :

كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى ، مدركٌ ذلك لا محالة :

« العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخُطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدّق ذلك الفرجُ أو يكذبه »[١] .

فليتق الله أولئك النساء ، المتبرجات السافرات ، المختلطات بالرجال في البيوت والشوارع ...

وليتق الله الرجال ، الذين أقروا نساءهم على ذلك ، فالرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته .

وليعلموا أن في الحجاب طهارة المجتمع من الآثام ، وحفظه وسعادته ، وفي التبرج والسفور والاختلاط دنسه وشقاوته .

٦ ـ ومن علامات مرض القلب : التقاعس عن الجهاد :

قال الله تعالى : ﴿ **ويقول الذين آمنوا : « لولا**

---

(١) البخاري ومسلم .

نُزِّلت سورة » فإذا أنزلت سورة محكمة[١] ، وذُكر فيها القتال ، رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظرَ المغشيِّ عليه من الموت ﴾[٢] .

أي كمن يشخص بصره عند الموت ؛ وذلك لجبنهم عن القتال جزعاً وهلعاً ، ولميلهم في السر إلى الكفار .

أما السليم القلب ، فيفرح بالجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى ، ولينال شرف الشهادة في سبيل الله، ولعلمه أن له أجلاً لا يعدوه.

﴿ قل : هل تربَّصون بنا إلا إحدى الحسْنَيين ؟ ﴾[٣].

أي الغنية أو الشهادة .

☆ ☆ ☆

---

(١) أي لا نسخ فيها .

(١) ٢٠ ـ محمد ﷺ .

(٣) ٥٢ ـ التوبة .

من آفات القلب

هذا ، وقد جمع العلماء رضي الله عنهم علل القلب وآفاته ، فذكروا منها ما يلي :

١ ـ الكفر ، والعياذ بالله تعالى ، وهو ثلاثة أنواع :

آ ـ الكفر الجهلي ، أي بسبب الجهل بالله تعالى ، والاشتغال عنه بالدنيا .

ودواؤه : التفكر بآلاء الله ، وقدرة الله ، ومظاهر عظمة الله ، تفكيراً يؤدي إلى الإذعان له ، والإيمان به .

ب ـ والكفر الجحودي العنادي ، وسببه الاستكبار ككفر فرعون وملئه .

ودواؤه : مجاهدة النفس على الخضوع للحق والإذعان له إذا ظهر ، على لسان صغير أو كبير ، عدو أو صديق .

جـ ـ والكفر الحكمي ، وهو ما جعله الشارع أمارة ـ أي علامة ـ على التكذيب ، كالاستخفاف بما يجب تعظيمه ، كالقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والأحكام الشرعية ...

ودواؤه : تعظيم شعـائر الله ، وإجـلال شرع الله ، وتـوقير سنة رسول الله .

والكفر بأنواعه دنس للقلب ، والإيمان طهارة :

قال الله تعالى في الكافرين :

﴿ أولئـك الـذين لـم يُرِدِ الله أن يطهر قلوبهم... ﴾[1].

٢ ـ ومن آفات القلب : الجهل . وهو نوعان :

آ ـ بسيط ، وأصحابه كالأنعام ، بل هم أضل .

وعلاجه : التعلم .

ب ـ ومركّب ، وهو اعتقـاد بـالقلب غير مطـابق للواقـع ، بأن يجهل الأمر ، ويجهل أنه يجهل .

وهو شر من الأول ، وقلما يقبل العلاج .

٣ ـ ومن آفات القلب : حب الرئاسة .

وعلاجه : أن يعلم العبد أنـه ليس بكمـال حقيقي ، لفنـائـه

---

(١) ٤١ ـ المائدة .

وكدورته ، والاعتزال عن الناس ، حتى يزول أثره من القلب .

٤ ـ ومن آفات القلب : خوف الذم والتعيير .

وعلاجه : أن تعرف أن الذام لك ، أن كان صادقاً فقد عرَّفك عيوبك ، وإن كان كاذباً فقد أهدى إليك حسناته ، ولا يضرك ذمه وتعييره .

وقديماً قال الشاعر :

ولستُ أبالي من زماني بريبة
إذا كنت عند الله غير مريبِ

٥ ـ ومن آفات القلب : حب المدح والثناء .

ومن أشد الحمق ، أن يغتر الإنسان بمدح الناس إياه ، وثنائهم عليه ، ويترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس .

ودواؤه : أن يعرف حقيقة نفسه ، ولا ينخدع بمدح الناس وثنائهم ، واعتقاده أن مدحهم وثناءهم ناشىء عن ظن لا عن حقيقة .

والمخدوع بمدح الناس بما ليس فيه ، كالفقير الذي يفرح

بقول الناس عنه : إنه غني .

٦ ـ ومن آفات القلب : اعتقاد البدع .

كاعتقاد الفرق الضالة ما ليس بحق أنه حق .

هذا إذا لم يكن موجباً للكفر ، فيكون صاحبه فاسقاً .

أما إذا كانت البدعة موجبة للكفر ، فيكون اعتقادها كفراً .

كاعتقاد التشبيه أو التجسيم أو التعطيل ، بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى .

ودواؤه : أن يعتقد صحة مذهب أهل الجماعة ، وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، وأن يجانب ما يخالفه .

٧ ـ ومن آفات القلب : اتباع الهوى .

والهوى ميل القلب إلى ما يخالف شريعة الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ .

ودواؤه : أن يجاهد نفسه على اتباع ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ، وأن يطرح كل رأي يخالف ذلك .

ففي الحديث الشريف :

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

٨ ـ ومن آفات القلب : الرياء ، وهو ضد الإخلاص .

والرياء إرادة نفع الدنيا بعمل الآخرة ، وهو الشرك الأصغر .

ويكون الرياء في خمسة أشياء :

آ ـ في البدن : بإظهار النحول ، ليدل على شدة الاجتهاد في الطاعة .

ب ـ وفي الزيّ : كلبس الخشن ، ليدل على الزهد في الدنيا ، وكلبس زيّ العلماء ، ليُظَنَّ أنه منهم .

جـ ـ وفي القول : كالوعظ والنطق بالحكمة ، ليدل على غزارة العلم .

د ـ وفي العمل : كتطويل المصلي القيام والركوع والسجود ، وكإظهار الخشوع .

هـ ـ وفي الأصحاب : كمن يفرح بكثرتهم ، ويباهي بهم .

وعلاج الرياء : إخفاء العمل الذي تميل النفس إلى إظهاره ، إلا ما لزم إظهاره كالصلاة مع الجماعة والجمعة ، وأداء الزكاة المفروضة ...

٩ ـ ومن آفات القلب : طول الأمل .

وهو إرادة الحياة للوقت المتراخي بلا استثناء ، ولا شرط صلاح في المستقبل .

وعلاجه : ذكر الموت ، ومعرفة أن الموت يأتي بغتة .

١٠ ـ ومن آفات القلب : الطمع ، وضده القناعة .

ودواؤه : مجاهدة النفس على القناعة بما يكفي ، وكفّها عن طلب الزيادة .

١١ ـ ومن آفات القلب : الكِبْر ، وضده التواضع .

والكبر الركون إلى رؤية النفس في مرتبة فوق مرتبة الشخص المتكبّر عليه .

ودواؤه : معرفة أن المراتب عند الله تعالى مجهولة ، ورب متكبّر عليه هو أحب إلى الله تعالى من المتكبر المتعالي .

وقد جاء في الكبر وعيد شديد .

ففي الحديث الشريف : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ... » .

١٣ ـ ومن آفات القلب : العُجْب .

وهو استعظام النعمة من فعل طاعة أو ترك معصية، والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم سبحانه وتعالى .

وأقوى علاج للعجب معرفة آفاته ، ومنها :

آ ـ أن العجب سبب الكبر في النفس .

ب ـ وأنه سبب نسيان الذنوب .

جـ ـ وأنه سبب نسيان نعمة الله تعالى بالتوفيق والتمكين له

من الإتيان بها .

د ـ وأنه سبب الأمن من مكر الله تعالى .

هـ ـ وأنه سبب إلى تزكية النفس .

١٤ ـ ومن آفات القلب : الحسد .

وهو إرادة زوال النعمة عن أحد ، مما له فيه صلاح ديني أو دنيوي ، من غير ضرر في الآخرة ،

أما ما فيه ضرر يعود على صاحبه في الآخرة . فتمنّي زواله عنه من أجل سلامته فضيلة .

ودواء الحسد معرفة آفاته ، ومنها :

آ ـ إفساد الطاعات .

ففي الحديث الشريف : « إياكم والحسد ، فإن الحسد يـأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب »[1] .

بـ ـ والإفضاء إلى فعل المعاصي، كالغيبـة والكـذب والسب...

---

(١) أبو داود .

جـ ـ وحرمان شفاعة النبي ﷺ ، إذا تبرأ من الحاسد فقال :

« ليس مني ذو حسد ولا نميمة »[١] .

د ـ والتعب والهمّ الملازم للحاسد ، من غير فائدة ولا نفع .

وفي هذا قيل : لله درّ الحسد ما أعدله ، بدأ بصاحبه فقتله !

اصبر على حسد الحسو د فإن صبرك قاتلُهْ
كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وعلاج الحسد نوعان :

آ ـ علمي : وذلك بمعرفة آفاته وغوائله .

ب ـ وعملي : وذلك بأن يكلف الحاسد نفسه خلاف مقتضى الحسد :

فإن كلّفه الحسدُ القدحَ في المحسود كلّف نفسه مدحه والثناء عليه .

---

(١) الطبراني .

وإن كلّفه الدعاءَ عليه بزوال النعمة ، دعا له ببقائها وزيادتها ...

١٥ ـ ومن آفات القلب : الحقد ، وهو من أسباب الحسد .

والحقد هو انطواء القلب على العداوة والبغضاء .

وآفات الحقد وغوائله كثيرة ، منها :

آ ـ الحسد المتقدم بيانه .

ب ـ والشماتة بالمحسود إذا سلبت منه نعمة ، أو أصابته نقمة .

جـ ـ وهجر المؤمن وعداوته .

د ـ واستصغار المحقود عليه في دينه أو عرضه .

هـ ـ وإفضاؤه إلى غيبة المحقود عليه .

و ـ وإفضاؤه إلى إفشاء سره نكاية له .

ز ـ وإفضاؤه إلى الاستهزاء به كذلك .

حـ ـ وإفضاؤه إلى إيذائه .

ط ـ وإفضاؤه إلى منع حقه الواجب .

ي ـ وحرمان الحاقد من مغفرة ذنوبه ، وهو أقبحها .

ففي الحديث الشريف : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً ، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء ـ أي عداوة ـ فيقال : أنظِروا ـ أي أخّروا ـ هذين حتى يصطلحا »[١] .

١٦ ـ ومن آفات القلب : الشماتة .

وهي الفرح بما يصيب المحقود عليه من البلاء ، والسرورُ به ، والضحكُ منه .

١٧ ـ ومن آفات القلب : هجر المؤمن وعداوته .

ففي الحديث الشريف : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال : يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام »[٢] .

وهذا الهجر مذمومٌ إذا كان لأمر دنيوي ، أما إذا كان لأمر

---

(١) مسلم .

(٢) البخاري ومسلم .

ديني فمحمود .

١٨ ـ ومن آفات القلب : الجبن .

وهو شدة الخوف ، وذلك مما تعوذ منه رسول الله ﷺ .

فمن الدعاء المأثور :

« اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من أن أُردّ إلى أرذل العمر ـ وهو الهرم ـ وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من فتنة القبر »[1] .

وعلاج الجبن : إيقاع النفس فيما تخاف منه على التدريج ، كالحروب ، والعبور وحده في مواضع الوحشة ، بشرط الأمن على النفس من الهلاك ، وعلى العقل من الخلل .

ويكرر ذلك مرات كثيرة ، حتى يزول الجبن ، وتكون الشجاعة .

ومن علاجه أيضاً الاستماع لغوائل الجبن ، وفوائد الشجاعة ، ووقائع الشجعان .

---

(١) البخاري .

١٩ ـ ومن آفات القلب : التهوّر .

وضده الحلم ، وهو ملكة الطمأنينة عند مهيّجات الغضب .

ومن فوائد الحلم أنه يثمر اللين والرفق .

وعلاج التهور : أن يعلم أولاً آفات التهور ، ومضاره ، وفوائد كظم الغيظ .

ومن آفات التهور ، قبح صورة الغضبان وقت الغضب .

ومن فوائد كظم الغيظ :

آ ـ إعداد الجنة لكاظميه .

قال الله تعالى : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين .**

الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ﴾[1] .

ب ـ والتخيير في الحور العين .

---

(١) ١٣٣ و ١٣٤ ـ آل عمران .

ففي الحديث الشريف : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه ، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، حتى يخيّره أيَّ الحور شاء »[١] .

جـ ـ وعظم الأجر فيه :

ففي الحديث الشريف : « ما من جرعة أعظم أجراً عند الله تعالى ، من جرعة غيظ كظمها العبد ابتغاء وجه الله تعالى »[٢] .

والعلاج العملي للغضب والتهور بعد الوقوع :

آ ـ الوضوء :

ففي الحديث : « إذا غضب أحدكم فليتوضأ »[٣] .

ب ـ والجلوس والاضطجاع :

في الحديث الشريف : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب ، وإلا فليضطجع »[٤] .

---

(١) أبو داود والترمذي .
(٢) ابن ماجه .
(٣) أبو داود .
(٤) أحمد .

جـ ـ والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم :

رأى النبي ﷺ رجلاً غضبان ، فقال :

« إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد :

لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ذهب عنه ما يجد »[١] .

د ـ ودعاء مخصوص يقوله الإنسان بخضوع وخشوع مع ملاحظة معناه :

قالت عائشة رضي الله عنها : دخل علينا رسول الله ﷺ وأنا غضبى ، فأخذ بطرف المفصل من أنفي ، ففركه ثم قال لي :

« يا عُوَيش : قولي : اللهم اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من الشيطان »[٢] .

وعلاج التهور والغضب الذي يقلع ذلك من أصله ، إنما يكون بإزالة السبب الذي ينشأ عنه الغضب ، وهو الحرص على

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ابن السني في اليوم والليلة .

طلب الجاه والتكبر والعجب ، وعلاجها سبق بيانه .

٢٠ ـ ومن آفات القلب : الغدر .

وهو من أشد بواعث الغضب والتهور .

وهو نقض العهد والميثاق بلا إعلام من المتعاهدين أو من أحدهما .

وضد الغدر الوفاء .

٢١ ـ ومن آفات القلب : الخيانة .

وهي من أشد بواعث الغضب والتهور ، وضدها : الأمانة .

وعلاجها : معرفة شؤمها ، وأنها من صفات المنافقين :

في الحديث الشريف : « أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها :

إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غَدَر ، وإذا خاصم فَجَر »[1] .

---

(١) البخاري ومسلم .

٢٢ ـ ومن آفات القلب : خُلف الوعد .

وهو من أشد بواعث الغضب والتهور .

وهو أيضاً من صفات المنافقين :

في الحديث الشريف : « آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »[١] .

٢٣ ـ ومن آفات القلب : سوء الظن بالله تعالى وبالمؤمنين بمجرد الوهم أو الشك .

وضده : حسن الظن .

وقد جاء النهي عنه بنص القرآن الكريم ، وذلك قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ... ﴾[٢] .

وحذّر منه النبي ﷺ فقال :

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ١٢ ـ الحجرات .

« إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث »[١] .

وعلاجه : حمل النفس على حسن الظن ما أمكن .

ومن كلام السلف : لأن تحسن الظن وتخطىء ، خير من أن تسيء الظن وتصيب .

٢٤ ـ ومن آفات القلب : التطير وهو التشاؤم بالزمان أو المكان ، أو بشيء من الأشياء .

ودواؤه : اعتقاد أن النفع والضر بيد الله تعالى وحده فلا يُخاف ولا يُرجى إلا الله سبحانه وتعالى .

٢٥ ـ ومن آفات القلب : البخل والتقتير على نفسه وعلى غيره .

وهما ملكة إمساك المال حيث يجب بذله بحكم الشرع ، كالزكاة والنفقة الواجبة .

أو بحكم المروءة ، كالصدقة النافلة وهدية الأقارب والجيران والأصحاب .

---

(١) البخاري ومسلم .

وسببه : حب المال لذاته.

وعلاجه : البذل ولو بتكلف في أول الأمر ، حتى يصير السخاء عادة له .

٢٦ ـ ومن آفات القلب : الإسراف والتبذير .

وهو ملكة بذل المال حيث يجب إمساكه بحكم الشرع :

كشراء آلات فسق وفجور ، وإعطاء المال لمن يستعين به على ذلك .

أو بحكم المروءة كدفعه للأجانب ، وترك الأقارب المحاويج .

والمروءة : هي رغبة النفس في إعطاء المال للناس بقدر ما يمكن .

والفتوّة : أخص منها ، وهي :

كفّ الأذى ، وبذل الندى ، والصفح عن العثرات ، وستر العورات .

وعلاج الإسراف العملي : أن يتذكر غوائله المذكورة ، ويتأمل فيها .

وعلاجه العملي : التكلف في الإمساك ، ونصب رقيب عليه ، يذكّره ويعاتبه .

٢٧ ـ ومن آفات القلب : حب المال .

وسببه التلذذ بوجوده ، وحب الشهوات واللذات العاجلة ، التي لا وصول إليها إلا بالمال .

وعلاجه : كثرة التأمل فيما ورد في ذم البخل والبخلاء ، ومدح السخاء والأسخياء .

٢٨ ـ ومن آفات القلب : الكسل والبطالة .

وعلاجها مجالسة أرباب الجد والسعي ، ومجانبة الكسالى والبطالين .

٢٩ ـ ومن آفات القلب : العجلة .

وضد العجلة : الأناة ، وهي فضيلة إلا في أمور يطلب تعجيلها ؛ منها :

أداء العبادة إذا حان وقتها ، وتزويج البنت إذا بلغت ، ووفاء الدين متى أمكن الوفاء ، وتجهيز الميت ، وإقراء الضيف ـ أي إطعامه ـ والتوبة ، وفي كل عمل خيري ...

٣٠ ـ ومن آفات القلب : التسويف .

أي في أعمال الخير ، وهو أن يقول : سوف أفعل الخير وسوف أترك الشر ...

ودواؤه : حمل النفس على تعجيل الخير ، وفي مقدمة أعمال الخير التوبة النصوح .

٣١ ـ ومن آفات القلب : الوقاحة .

وضدها الحياء ، وهو انقباض النفس من شيء وتركُه حذراً من اللوم فيه .

والحياء نوعان :

آ ـ نفساني ؛ وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها ، كالحياء من كشف العورات .

ب ـ وإيماني ؛ وهو ما يمنع المؤمن من فعل المعاصي .

وعلاج الوقاحة ـ صحبة ذوي الحياء ، وحمل النفس على الاقتداء بهم .

ومعرفة أن الحياء فضيلة ، وهو من شعب الإيمان .

ففي الحديث الشريف : « الحياء شعبة من الإيمان »[١] .

٣٢ ـ ومن آفات القلب : الجَزَع .

أي قلة الصبر ، وما يترتب عليه من الشكوى ، وضده الصبر .

ودواؤه : معرفة ثواب الصبر ، إذ يقول الله تعالى :

﴿ إنما يُوَفّى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾[٢] .

٣٣ ـ ومن آفات القلب : كفران النعم .

أي سترها وتغطيتها . وضده الشكر .

ودواؤه : تذكّر نعم الله تعالى ، ومعرفة أنها لا تعد ولا تحصى .

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ١٠ ـ الزمر .

﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ... ﴾[١] .

٣٤ ـ ومن آفات القلب : السخط .

وهو التضجر بما قضاه الله تعالى .

وسببه : عدم حصول المراد .

وضد السخط : الرضا ، وهو طيب النفس فيما يصيب العبد وفيما يفوته .

وكذلك التسليم ، وهو الانقياد لأمر الله تعالى ، وترك الاعتراض عليه فيما قدره وقضاه .

وعلاجه : معرفة أن الله تعالى حكيم ، يضع الأمور في مواضعها ، وأن اختيار الله تعالى للعبد خير من اختيار العبد لنفسه .

٣٥ ـ ومن آفات القلب : تعليق الخاطر بغير الله تعالى ، وربط النفس بذلك .

كالاعتماد على الأسباب مع نسيان المسبب ، وهو الله سبحانه وتعالى .

---

(١) ٣٤ ـ إبراهيم .

وضده : التوكل على الله عز وجل .

ودواؤه : معرفة أن الله تعالى هو القوي القدير ، وأنه المتصرف في الأمور كلها على حسب مراده ، وأن من توكل عليه كفاه ما أهمه .

﴿ **ومن يتوكل عليه فهو حسبه** ﴾[1] ـ أي كافيه ـ .

٣٦ ـ ومن آفات القلب : حب الفسقة ، والركون إلى الظلمة ـ أي الميل إليهم .

ودواؤه : هجرهم والبعد عنهم ، ورفض عطاياهم ، ومطالعة سيرة السلف في التباعد عنهم .

٣٧ ـ ومن آفات القلب : بغض العلماء والصالحين .

ودواؤه : معرفة فضلهم ، وأن الله تعالى يحبهم ، وأن حبهم من علامات السعادة .

ومن المأثور في الدعاء .

اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وتَرْك المنكرات ، وحب

---

(١) ٣ ـ الطلاق .

المساكين ... وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني إلى حبك[١] .

٣٨ ـ ومن آفات القلب : الجراءة على الله تعالى ، والأمن من عذابه .

وضده : الخوف من عذاب الله تعالى وسخطه .

وحقيقة الخوف : رعدة تحدث في القلب ، على ظن حصول مكروه يناله .

وسبب الخوف : ذكر الذنوب ، وذكر شدة عقوبة الله تعالى عليها يوم القيامة .

ومن ثمرات الخوف من الله تعالى : الحزن بسبب الذنب الماضي ، والتأسف على ما مضى من العمر في غير طاعة الله ، والبكاء من خشية الله .

وبهذا يحصل الأمن للعبد يوم القيامة ، فالخائف في الدنيا آمن في الآخرة .

---

(١) الطبراني .

٣٩ ـ ومن آفات القلب : اليأس من رحمة الله تعالى .

وهو القنوط ، أي قطع الأمل من رحمته عز وجل ، وتيقّن وقوع عقابه .

وضد اليأس والقنوط : الرجاء .

والرجاء هو ابتهاج النفس بمعرفة فضل الله تعالى ، واسترواحه إلى سعة رحمته ، مع الاستقامة والتقوى والعمل الصالح .

وسبب الرجاء : ذكر سوابق فضل الله إلينا من غير عمل ولا شفيع ، وذكر ما وعد الله عباده المؤمنين من جزيل ثوابه ، دون استحقاقهم إياه ، وذكر سعة رحمة الله تعالى .

٤٠ ـ ومن آفات القلب : الخوف من فوات شيء من أمور الدنيا ، والحزن على فواته .

والحزن في ذلك يكون لما مضى ، والخوف للمستقبل .

ومنشأ ذلك حب الدنيا ، وتوقّع حصول جميع المطالب والرغبات ؛ وتوقّع بقائها واستمرارها ... وذلك جهل محض .

ودواؤه : تذكّر حقارة الدنيا .

ففي الحديث الشريف : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى منها كافراً شربة ماء »[١] .

٤١ ـ ومن آفات القلب : المداهنة .

وهي الضعف في أمر من أمور الدين ، والسكوت عند مشاهدة المعاصي ، مع القدرة على تغيير المنكر باليد أو اللسان .

وضدها : الصلابة في الدين .

ودواء المداهنة : معرفة الندامة فيها .

ففي الحديث الشريف : « إن أشد الناس ندامة يوم القيامة رجل باع آخرته بدنيا غيره »[٢] .

« ... وتجدون شر الناس ذا الوجهين : الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه »[٣] .

---

(١) الترمذي .
(٢) البخاري .
(٣) البخاري ومسلم .

٤٢ ـ ومن آفـات القلب : الأنس بـالنـاس ، والـوحشـة لفراقهم .

ومنه الأنس بشيء من متاع الدنيا .

وكل من تعلق قلبه بشيء ، وأنس به ، فهو عبد له .

وأنسُ المؤمن إنما يكون بربه تبارك وتعالى ، لأنه هو الأنيس الدائم الذي لا يزول ، وغيره منقطع زائل .

٤٣ ـ ومن آفات القلب : العناد ومكابرة الحق ، ومجانبة الإذعان له ، وإنكاره بعد العلم به .

ودواؤه : مجاهدة النفس على الإذعان للحق ، متى ظهر على لسان صغير أو كبير .

٤٤ ـ ومن آفات القلب : النفاق .

وهو أن لا يوافق الباطن الظاهر ، بأن كان الشر في باطنه والخير في ظاهره ، وقد سبق بيانه في علامات مرض القلب .

٤٥ ـ ومن آفات القلب : الإصرار على المعاصي .

وضده : الإنابة والتوبة .

وشروط التوبة : الإقلاع عن الذنب ، والندم عليه ، والعزم على أن لا يعود إليه .

* * *

هذه بعض آفات القلب وعلله .

وبقاء شيء منها في القلب ، علامة على مرض القلب .

والمؤمن مطالب بتنقية قلبه من الآفات ، وتطهيره من العلل والأمراض .

ومن جاهد نفسه بصدق وصل إلى ما يريد .

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين ﴾[1] .

والله تعالى ولي الهداية والتوفيق .

☆ ☆ ☆

---

(١) ٦٩ ـ العنكبوت .

شفاء القلب

لا شفاء للقلب من علله وأمراضه إلا بالإيمان ، واتباع ما جاء به القرآن .

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين ...** ﴾[١] .

﴿ **وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ...** ﴾[٢] .

فالقرآن الكريم شفاء للقلوب ، بزوال الجهل عنها ، وإزالة الرِيب ، وكشف غطاء القلب لفهم المعجزات ، والأمور الدالة على الله تعالى .

والقرآن الكريم مع هذا شفاء من الأمراض الظاهرة ، بالرقي والتعوذ ونحوه .

---

(١) ٥٧ ـ يونس .

(٢) ٨٢ ـ الإسراء .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أنه قال :

بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ثلاثين راكباً ، فنزلنا على قوم من العرب ، فسألناهم أن يضيفونا ، فأبوا ، فلُدغ سيد الحي ، فأتونا ، فقالوا :

فيكم أحد يرقي من العقرب ؟

قلت : نعم ، ولكن لا أفعل حتى تعطونا .

قالوا : فإنا نعطيكم ثلاثين شاة .

قال : فقرأت عليه : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ سبع مرات ، فبرأ .

فبَعث إلينا بالنُزُل ، وبعث إلينا بالشاء ، فأكلنا الطعام أنا وأصحابي ، وأبوا أن يأكلوا من الغنم ، حتى أتينا رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر .

فقال : وما يدريك أنها رقية ؟!

فقلت : يا رسول الله شيء أُلقي في روعي .

قال : كلوا وأطعمونا من الغنم[١] .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ كان ينفِث على نفسه ، في المرض الذي مات فيه بالمعوِّذات . فلما ثقل كنت أنفِث عليه بهن ، وأمسح بيد نفسه لبركتها[٢] .

أي كان ينفث على يديه ثم مسح بهما وجهه .

والنَفْث : النفخ ليس معه ريق .

والتفل : النفخ معه ريق .

فإذا كان القرآن الكريم شفاء لأمراض البدن ، فهو شفاء لأمراض القلب من باب أولى .

قال بعض السلف : للقلب ستة أشياء :

حياة وموت ، وصحة وسقم ، ويقظة ونوم .

فحياته الهدى ، وموته الضلالة .

وصحته الطهارة والصفاء ، وسقمه الكدورة والعلاقة .

---

(١) الدارقطني .

(٢) البخاري .

ويقظته الذكر ، ونومه الغفلة .

وقال آخر : دواء القلب خمسة أشياء :

قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

طرق تهذيب النفس وشفاء القلب :

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه « الإحياء » ما ملخصه :

إذا أراد الله بعبد خيراً بصَّره بعيوب نفسه ، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخفَ عليه عيوبه ، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج . ولكنّ أكثر الناس جاهلون بعيوب أنفسهم ، يرى أحدهم القذى في عين أخيه ، ولا يرى الجذع في عين نفسه .

ومن أراد أن يعرف عيوب نفسه ، فله أربعة طرق :

(الأول) : أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطّلع على خفايا الآفات ، ويحكّمه في نفسه ، ويتبع إشارته في مجاهدة نفسه .

وهذا شأن المريد مع شيخه ، والتلميذ مع أستاذه ، فيعرِّفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ، ويعرّفه طريق علاجه .

وهذا قد عزَّ في هذا الزمان وجوده[١] .

(والثاني) : أن يطلب صديقاً صدوقاً ، بصيراً ، متديناً ، فينصبه رقيباً على نفسه ، ليلاحظ أحواله وأفعاله ، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه .

هكذا كان يفعل الأكياس ـ العقلاء ـ والأكابر من أئمة الدين :

كان عمر رضي الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إليَّ عيوبي .

وكان يسأل سلمان الفارسي رضي الله عنه عن عيوبه ...

وكان يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ويقول له :

أنت صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين ، فهل ترى

---

(١) يقول الإمام الغزالي ذلك وهو قد عاش بين (٤٥٠ ـ ٥٠٥) هجرية .

عليَّ شيئاً من آثار النفاق ؟

فهو على جلالة قدره ، وعلوّ منصبه ، هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه .

فكل من كان أوفر عقلاً ، وأعلى منصباً ، كان أقلّ إعجاباً ، وأعظم اتهاماً لنفسه .

إلا أن هذا أيضاً ـ يعني الصديق الصدوق البصير المتدين ـ قد عزَّ ـ أي قلّ وجوده ـ فقلَّ في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب، أو يترك الحسد، فلا يزيد على قدر الواجب.

فلا تخلو في أصدقائك عن حسود ، أو صاحب غرض ، يرى ما ليس بعيب عيباً ، أو عن مداهن ، يخفي عنك بعض عيوبك .

وقد كانت شهوة ذوي الدين أن ينتبهوا لعيوبهم ، ولو بتنبيه غيرهم ، وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ... وذلك من قسوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب ، وأصل ذلك ضعف الإيمان .

(**والثـالث**) : أن يستفيـد معرفـة عيـوب نفســه من أعدائه ، فإن عين السخط تبدي المساوي .

ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن ، يذكّره عيوبـه ، أكثر من انتفاعه بصـديق مـداهن ، يثني عليـه ، ويمـدحـه ، ويخفي عنه عيوبه .

إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العـدو ، وحمل مـا يقولـه على الحسد ، ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعـدائـه ، فإن مساويه لابد أن تنتشر على ألسنتهم .

(**والرابع**) : أن يخالط الناس ، فكل ما رآه مذمومـاً فيما بين الخلق ، فليطالب نفسـه بـه ، وينسبهـا إليـه ، فـإن المؤمن مرآة المؤمن ، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه .

فليتفقد كل إنسان نفسه ، وليطهرها من كل ما يـذمـه من غيره ، وناهيك بهذا تأديباً ، فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونـه من غيرهم ، لاستغنوا عن المؤدب[١] .

☆ ☆ ☆

---

(١) انتهى كلام الغزالي باختصار .

سلامة القلب

سلامة القلب إنما تكون بالخلاص من العلل والأمراض والآفات والعيوب :

كالشك والشرك والبدع وسائر الأوصاف الذميمة والآفات التي سبق بيانها في أمراض القلب، ثم بالاتصاف بالأوصاف الحميدة.

قال الله تعالى : ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾[1] .

ففي الآخرة لا تنفع الأموال ولا الأولاد أصحابها شيئاً ولا سائر ما يغتر به أكثر الناس في هذه الحياة ، إنما ينفع فيها القلب السليم .

وخصَّ الله تعالى القلب بالذكر ، لأنه هو الذي إذا سلم سلمت الجوارح ، وإذا فسد فسدت الجوارح .

ففي الحديث الشريف : « ... ألا وإن في الجسد مضغة ،

---

(١) ٨٩ ـ الشعراء .

إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب »[١] .

فإذا سلم القلب من الآفات وصلح ، وتنور بالطاعة ، فرّق صاحبه بين المبرات والآثام ، وانجلت أمامه الشبهات ، وصلحت بصلاحه الجوارح ، والعكس على العكس .

روي أن لقمان الحكيم كان عبداً نجاراً ، قال له سيده :

اذبح شاة وأتني بأطيبها بضعتين ـ أي قطعتين ـ

فأتاه باللسان والقلب .

ثم أمره بذبح شاة أخرى ، فقال له :

ألق أخبثها بضعتين .

فألقى اللسان والقلب .

فقال : أمرتك أن تأتيني بأطيبها بضعتين . فأتيتني باللسان والقلب .

---

(١) البخاري ومسلم .

وأمرتك أن تُلقي بأخبثها بضعتين ، فألقيت اللسان والقلب !

فقال : ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خَبُثا .

من أوصاف القلب السليم :

ـ قال الله تعالى : ﴿ **هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ، من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب** ﴾[1] .

والقلب المنيب هو القلب السليم ، المقبل على طاعة الله تعالى ، المخلص لرب العالمين .

وعلامة القلب المنيب ، أن يكون عارفاً لحرمة الله تعالى ، موالياً له ، متواضعاً لجلاله ، تاركاً لهوى نفسه .

ـ وقال تعالى مثنياً على الأنصار رضي الله عنهم :

---

(١) ٣٣ ـ ق .

﴿ والذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا ... ﴾[١] .

فالأنصار الذين استوطنوا المدينة ، واعتقدوا الإيمان ، وأخلصوا في إيمانهم ، يحبون إخوانهم المهاجرين ، ولا يحسدونهم على ما خصهم به رسول الله ﷺ من الفيء ، بل قلوبهم سليمة من الغل والحسد .

كان المهاجرون في دور الأنصار ، فلما غنم الرسول ﷺ أموال بني النضير ، دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في إنزالهم إياهم في منازلهم ، وإشراكهم في أموالهم .

ثم قال : إن أحببتم قسمت ما أفاء الله عليَّ من بني النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم .

فقال سعد بن عُبادة ، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما :

بل تقسم بين المهاجرين ، ويكونون في دورنا كما كانوا .

---

(١) ٩ ـ الحشر .

ونادت الأنصار : رضينا وسلّمنا يا رسول الله !

فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار . وأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين ، ولم يعطِ الأنصار شيئاً ، إلا ثلاثة أعطاهم لشدة فقرهم وحاجتهم .

فمن وصف القلب السليم سلامته من الغِلّ وهو الحقد والحسد ، ولهذا فإن الله تعالى بعد ما أثنى على المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، أثنى على من جاء بعدهم بهذا الوصف فقال :

﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم ﴾[1] .

فمن كان في قلبه غلٌّ على مسلم ، ولا سيما سلف هذه الأمة ، فليس بذي قلب سليم ، وليس موضع ثناء من الله عليه .

---

(١) ١٠ ـ الحشر .

عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده علي بن الحسين رضي الله عنهم ، أنه جاءه رجل ، فقال له :

يا ابن بنت رسول الله : ما تقول في عثمان ؟

فقال له : يا أخي ، أنت من قوم قال الله فيهم :

﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون ﴾ ؟

قال : لا .

قال : فوالله لئن لم تكن من أهل هذه الآية ، فأنت من قوم قال الله فيهم :

﴿ والذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ... ﴾ .

قال : لا .

قال : فوالله لئن لم تكن من أهل هذه الآية الثالثة لتخرجَنَّ من الإسلام ، وهي قوله تعالى :

﴿ والذين جاءوا من بعدهم ، يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ... ﴾ .

وفي الحديث الشريف : « لا يبلّغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليكم . وأنا سليم الصدر »[١] .

وقال بعض السلف : إنما هي أربع :

عينك ، ولسانك ، وقلبك ، وهواك .

فانظر عينك ، لا تنظر بها إلى ما لا يحل لك .

وانظر لسانك ، لا تقل به شيئاً يعلم الله خلافه من قلبك .

وانظر قلبك ، لا يكن فيه غل ولا حقد على أحد من المسلمين .

وانظر هواك ، لا تهو شيئاً من الشر .

فإذا لم تكن فيك هذه الخصال ، فقد شقيت .

---

(١) أبو داود والترمذي .

حسرة القلب

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ، لا تكونوا كالذين كفروا ، وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض**[١] **، أو كانوا غُزىً**[٢] **لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ...** ﴾[٣] .

نهى الله تعالى المسلمين في هذه الآية ،أن يقولوا مثل قول المنافقين ، فإن الخروج إلى التجارة أو الجهاد ، لا يقدم أجلاً ، وإن القعود عن ذلك لا يؤخره . ولا يعود هذا القول على قائليه إلا بالحسرة في أعماق القلب .

فالقلب موضع الحسرة والكآبة ، كما هو موضع الطمأنينة والسكينة .

☆ ☆ ☆

---

(١) أي سافروا لتجارة أو غيرها فماتوا .

(٢) أي غزاة مجاهدين فاستشهدوا .

(٣) ١٥٦ ـ آل عمران .

سكينة القلب وطمأنينته

سكينة القلب طمأنينته إلى الإيمان ، وأنسه به ، وارتياحه إليه ، وثباته عليه ، فلا تؤثر فيه زوابع الفتن ، ولا زعازع الشبهات ، ولا نوازع الآراء والأهواء .

ـ قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال :

﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى ؟

قال : أوَلم تؤمن ؟

قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي ... ﴾[1] .

أي ليزداد يقيناً بما يراه عِياناً من مظاهر قدرة الله تعالى .

ـ وقال تعالى على لسان الحواريين ، أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام ، في شأن المائدة التي سألوه أن يدعو الله تعالى ، فينزلها عليهم :

---

(١) ٢٦٠ ـ البقرة .

﴿ قالوا : نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين ﴾[١] .

طلبوا نزول المائدة ، لتسكن بها قلوبهم ، وتطمئن إلى الإيمان بالله تعالى وعظيم قدرته ، وإلى الإيمان بنبوة عيسى عليه السلام ورسالته، وإلى أنهم على حق وشريعة من الله تعالى.

ـ وقال تعالى مخاطباً نبينا محمداً ﷺ :

﴿ وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ... ﴾[٢] .

فالله تعالى قصَّ على رسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ ، من أخبار إخوانه الرسل الماضين ، وصبرِهم على أذى أقوامهم ، ليثبت بذلك قلبه الشريف على أداء الرسالة ، والصبر على ما يناله فيها من الأذى ، حتى لا يجزع ولا يضجر .

فالقلب الثابت على الحق ، الساكن إليه ، المطمئن به ، هو

---

(١) ١١٣ ـ المائدة .　　(٢) ١٢٠ ـ هود .

الذي يصبر على ما يلاقيه في سبيل الحق ، ودعوة الحق .

ـ ولما اعترض بعض المشركين على نزول القرآن مفرّقاً بيّن الله تعالى الحكمة في ذلك فقال :

﴿ وقال الذين كفروا : لولا نُزّل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك، ورتلناه ترتيلاً ﴾[١] .

ففي نزول القرآن على النبي ﷺ منجّماً مفرّقاً : آياتٍ بعد آيات ، وسوراً بعد سور ، حسب الحوادث ، تقوية لقلبه الشريف على تحمله ووعيه وفهمه . وتثبيت للقرآن الكريم فيه ، ولا سيما وهو ﷺ نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب .

ـ وقال تعالى في نزول الملائكة عليهم السلام ، وقتالهم مع المسلمين في غزوة بدر :

﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ، ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾[٢] .

أخبرهم الله تعالى أنه أمدهم بالملائكة ، لتسكن قلوبهم

---

(١) ٣٢ ـ الفرقان .

(٢) ١٢٦ ـ آل عمران .

بذلك ، وتطمئن به ، فيثبتوا في ميدان القتال ، مع قلتهم وكثرة المشركين .

ثم أردف هذه البشارة بقوله :

﴿ وما النصر إلا من عند الله ... ﴾ .

لينبئهم على أن النصر من عنده سبحانه وتعالى ، لا من الملائكة ، فلولا نصره عز وجل ، لما انتفعوا بكثرة العدد بالملائكة ، والله تعالى وحده بيده تصاريف الأمور .

ـ وقال تعالى : **﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ... ﴾**[1] .

فالله تعالى ألقى السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين الأولين ، حين جاءهم النبي ﷺ بالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وحده ، فصدقوه وآمنوا به .

فلما سكنت قلوبهم إلى الإيمان،واطمأنت إليه،زادهم الأمر بالصلاة

فلما صدّقوه زادهم الأمر بالزكاة .

---

(١) ٤ ـ الفتح .

فلما صدّقوه زادهم الأمر بالصيام .

فلما صدّقوه زادهم الأمر بالحج .

ثم أكمل لهم دينهم .

ـ وقال تعالى : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين ، إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحاً قريباً** ﴾[١] .

علم ما في قلوبهم من الصدق والوفاء والرضا بالبيعة على أن لا يفرُّوا ، وبالقتال مع النبي ﷺ على الموت ، فأنزل السكينة عليهم ، واطمأنت قلوبهم بما بايعوا عليه .

ـ وقال تعالى : ﴿ **قل : إن الله يضل من يشاء ، ويهدي إليه من ينيب ، الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[٢] .

فالذين هداهم الله تعالى جعل في قلوبهم سكينة وطمأنينة وأنساً بتوحيده ، وكلما ذكروا الله تعالى بألسنتهم ، وذكروا

---

(١) ١٨ ـ الفتح .

(٢) ٢٧ و ٢٨ ـ الرعد .

فضله وإنعامه ، زادوا سكينة وطمأنينة .

فقلوب المؤمنين تطمئن بذكر الله . وطاعة الله ، وتسكن إلى وعد الله .

وضد الطمأنينة الاشمئزاز والنفور والاضطراب :

قال الله تعالى : ﴿ **وإذا ذُكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ...** ﴾[١] .

وطمأنينة القلب تورثه نوراً ، يفرق به بين الحق والباطل ، والبر والإثم :

ففي الحديث الشريف : « البر ما اطمأن إليه القلب ، وإن أفتاك الناس وأفتوك »[٢] .

قال العلماء رضي الله عنهم : هذا في قلب طاهر منوَّر واقف عند حدود الشرع ، يفيض عليه النور من مشكاة النبوة ، فهو كأنه مرآة مجلوّة ، فصاحب مثل هذا القلب ، يرجع إلى قلبه في الشبهات ، وهو الذي يميز بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ...

---

(١) ٤٥ ـ الزمر .

(٢) الطبراني .

رقة القلب

أثنى الله تعالى على الحواريين أصحاب عيسى عليه السلام ، ووصفهم برقة القلب ، والرأفة والرحمة ، والشفقة واللين . فقال تعالى بعد ذكر بعض رسله :

﴿ ثم قفّينا[١] على آثارهم برسلنا ، وقفّينا بعيسى بن مريم ، وآتيناه الإنجيل ، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ... ﴾[٢] .

وأثنى الله تبارك وتعالى على نبينا ﷺ بالخلق العظيم ، والقلب الرقيق الرحيم ، والطبع اللين الكريم . وبيّن له أن ذلك هو سبب اجتماع المؤمنين على حبه ، واستجابتهم إلى الإيمان به واتباع دينه ، فقال تعالى :

﴿ فبما رحمةٍ من الله لنتَ لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ... ﴾[٣] .

---

(١) أي أتبعنا وبعثنا .
(٢) ٢٧ ـ الحديد .
(٣) ١٥٩ ـ آل عمران .

وأثنى النبي ﷺ ، على كل رحيم رقيق القلب على أقاربه والمسلمين ، وبشّر أن مَن هذا وصفه فهو من أهل الجنة ، فقال :

أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مُقسِط ـ أي عادل ـ موفّق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفّف ذو عيال[١] .

من مظاهر رقة القلب :

١ ـ لين القلب بذكر الله :

قال الله تعالى : ﴿ **الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً[٢] ، مثاني[٣] ، تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ...** ﴾[٤] .

٢ ـ والخشوع لله والبكاء :

إن رقة القلب تستدعي الخشوع لله ، والضراعة إليه ، والبكاء من خشيته ، أو الشوق إلى لقائه .

---

(١) مسلم .
(٢) أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن .
(٣) أي تثنى فيه المواعظ والأحكام .
(٤) ٢٣ ـ الزمر .

كما تستدعي رحمة الخلق ، والرأفة بهم ، والشفقة عليهم .

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله :

رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه[١] ...

أما الصراخ والضجيج والصعق ... فليس هذا وما شابهه من أحوال أهل الكمال .

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت :

كان أصحاب رسول الله ﷺ ، إذا قرىء عليهم القرآن كما نعتهم الله : تدمع عيونهم ، وتقشعرّ جلودهم .

قيل لها : فإن ناساً اليوم إذا قرىء عليهم القرآن ، خرّ أحدهم مغشياً عليه .

فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

وقال سعيد بن عبد الرحمن الجُمَحي : مرَّ عبد الله بن عمر

---

(١) البخاري ومسلم .

رضي الله عنهما برجل من أهل القرآن ساقط ـ أي واقع على الأرض ـ.

فقال : ما بال هذا ؟

قالوا : إنه إذا قرىء عليه القرآن ، وسمع ذكر الله سقط .

فقال ابن عمر : إنا لنخشى الله وما نسقط .

ثم قال : إن الشيطان يدخل جوف أحدهم . ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ .

وقال قتادة رضي الله عنه : هذا نعت أولياء الله الذي نعتهم به : أن تقشعر جلودهم ، وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم ، والغشيان عليهم ، إنما ذلك في أهل البدع ، وهو من الشيطان .

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : ذُكر عند ابن سيرين الذين يُصرَعون إذا قرىء عليهم القرآن .

فقال : بيننا وبينهم ، أن يقعد أحدهم على ظهر بيت ، باسطاً رجليه ، ثم يُقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره ، فإن

رمى بنفسه فهو صادق .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : حال العارفين بالله ، الخائفين من سطوته وعقوبته ، سكون النفس عند ذكر الله تعالى ، لا كما بفعله جهال العوامّ .

فيقال لمن تعاطى ذلك ، وزعم أن ذلك وجد خشوع :

لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله ، والخوف منه ، والتعظيم لجلاله ، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ ، الفهمَ عن الله ، والبكاءَ خوفاً من الله .

ومن لم يكن كذلك ، فليس على هديهم ، ولا على طريقتهم ... (انتهى) .

٣ ـ ومن مظاهر رقة القلب رحمة الأطفال وإكرامهم وتقبيلهم :

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ ، فقالوا :

أتقبّلون صبيانكم ؟

فقال : نعم .

قالوا : لكنا والله لا نقبّل .

فقال رسول الله ﷺ : أوَ أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة[١] ؟

٤ ـ ومن مظاهر رقة القلب ورحمته دمعُ العين أحياناً :

ففي الحديث الشريف : « أن النبي ﷺ ، رُفع إليه ابن ابنته ، وهو في الموت ـ أي في سكرات الموت ـ ففاضت عينا رسول الله ﷺ .

فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ؟!

قال : هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء »[٢] .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، دخل على ابنه إبراهيم ، رضي الله عنه ، وهو يجود بنفسه ـ أي وهو يُحتَضَر ـ فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ـ أي تدمعان ـ

---

(١) ، (٢) البخاري ومسلم .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله !

فقال : يا ابن عوف ، إنها رحمة .

ثم أتبعها بأخرى ، فقال : إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون[١] .

وفي الحديث الشريف : « إن لله آنية من أهل الأرض ، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين ، وأحبها إليه ألينها وأرقها »[٢] .

وفي الحديث الشريف أيضاً : « أتحبّ أن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك ؟

ارحم اليتيم ، وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك ، يلِنْ قلبك ، وتدركْ حاجتك »[٣] .

☆ ☆ ☆

---

(١) البخاري .

(٢) ، (٣) الطبراني .

قسوة القلب

وضد رقة القلب : قسوته .

وقد ذم الله تعالى اليهود ، ووصفهم بقسوة القلب ، فقال مخاطباً لهم :

﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة ... ﴾[١] .

والقسوة : الشدة والصلابة واليبس .

وهي عبارة عن خلوّها عن الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى .

ثم ذمهم الله تعالى ولعنهم ، ووصفهم بقسوة القلب مرة أخرى ، وقال :

﴿ فبما نقضِهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ... ﴾[٢] .

---

(١) ٧٤ ـ البقرة .

(٢) ١٣ ـ المائدة .

أي صلبة لا تعي خيراً ، ولا تفعله ، فهي غليظة نابية عن الإيمان والتوفيق للطاعة .

ـ وقد ذم الله تعالى الأمم السالفة ، التي عجل عليها العذاب فأهلكها ، ووصفها بقسوة القلب ، وأنها لم تضرع إليه حين نزول العذاب ، وقال :

﴿ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرَّعوا ، ولكن قست قلوبهم ... ﴾[١] .

أي صلبت وغلظت ، وأصرت على الكفر والمعصية .

ـ ثم ذم الله تعالى الموصوفين بقسوة القلب على الإطلاق ، وأنذرهم عذابه ، وقال :

﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ... ﴾[٢] .

وعاتب المؤمنين فقال :

﴿ ألم يأن للذين آمنوا ، أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا

---

(١) ٤٣ ـ الأنعام .　　(٢) ٢٢ ـ الزمر .

الكتـــاب من قبـــل ، فطـــال عليهم الأمـــد فقست قلوبهم ... ؟ ﴾[١] .

ذكر المفسرون : أن الصحـابـة رضي الله عنهم ، كانـوا بمكـة مجدبين، فلما هـاجروا أصـابوا الريف والنعمـة والثمار، ففتروا عمـا كانوا فيـه ، فقست قلـوبهم بعض الشيء ، فعـاتبهم الله تعـالى ، ووعظهم فأفاقوا .

وهـذه الآيـة الكريمـة ، كانت سبب توبـة رجـال من السلف الصالح ، منهم الفضيل بن عياض (١٠٥ ـ ١٨٧ هـ) ، وعبـد الله بن المبارك (١١٨ ـ ١٨١ هـ) رضي الله عنهما :

روي أنه سئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده ، فقال :

كنت يومـاً مع إخواني في بستـان لنـا ، وذلـك حين حملت الثمار من ألوان الفواكـه ، فـأكلنـا وشربنـا حتى الليل ، فمنـا ، وكنت مولعـاً بضرب العود والطُنبور ، فقمت في بعض الليل ، فضربت ، والعود بيدي لا يجيبني إلى ما أريد ، وإذا بـه ينطق كما ينطق الإنسان ـ يعني العود الذي بيده ، ويقول :

---

(١) ١٦ ـ الحديد .

﴿ ألم يأنِ للذين آمنوا ، أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل من الحق ؟ ﴾

قلت : « بلى والله » وكسرت العود ، وصرفت من كان عندي .

فكان هذا أول زهدي وتشميري .

وأما الفضيل بن عياض ، فكان سبب توبته ، أنه عشق جارية ، فواعدته ليلاً ، فبينما هو يرتقي الجدران إليها ، إذ سمع قارئاً يقرأ :

﴿ ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ... ﴾ .

فرجع القهقرى ، وهو يقول : بلى والله قد آن .

فآواه الليل إلى خربة ، وفيها جماعة من السابلة ، وبعضهم يقول لبعض :

إن فضيلاً يقطع الطريق .

فقال الفضيل : أواه ، أراني في الليل أسعى في معاصي الله ،

قـوم من المسلمين يخافونني ! اللهم إني قد تبت إليـك ، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام .

ملاحظة :

قـدر الله تعـالى على بعض أوليـائـه سـابقـة معصيـة ، قبـل الهـدايـة إلى التقوى والاستقـامـة ، والـدخول في دائرة الـولايـة الخاصة لئلا يقطع عاصٍ رجاءه من الله تبارك وتعالى .

فبـاب التوبـة مفتوح : وفي كل سـاعـة من سـاعـات الليل والنهـار يستطيع أفسق الفـاسقين ، وأسوأ العـاصين ، أن ينتقل بـالتـوبــة النصـوح ، من وضف الفسـق والمعصيــة ، إلى وصف الاستقامة والطاعـة ، والقلوب بيـده يقلبهـا كيف يشـاء ، وفي ذلك حكمة من الله تعالى بالغة .

عود إلى ذم القسوة :

وفي الحـــديث الشريف حضٌّ على رقـــة القلب ، وذمٌّ لقسوته :

ومن ذلـك قـولـه ﷺ : لا تكثروا الكـلام بغير ذكر الله ،

فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي[١] .

وفي الأثر :

أربعة من الشقاء : جمود العين ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا .

وفي الحديث القدسي : « اطلبوا الحوائج من السُمَحاء ، فإني جعلت فيهم رحمتي ، ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم ، فإني جعلت فيهم سخطي .

وروي أن عيسى عليه السلام قال لقومه :

لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى ، فتقسو قلوبكم ، وإن القلب القاسي بعيد من الله ...

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى : ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب ، وما غضب الله على قوم ، إلا نزع الرحمة من قلوبهم .

---

(١) الترمذي .

شكر القلب

الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه .

وشكر العبد ربَّه تبارك وتعالى يكون بمعرفة آلائه ونعمه ، والثناء عليه بلسانه ، والقيام بطاعته ، وصرف جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر ، وغيرهما إلى ما خُلق من أجله .

قال بعض السلف : الشكر هو الاجتهاد في بذل الطاعة ، مع الاجتناب للمعصية في السر والعلانية .

وقال آخر : الشكر هو الاعتراف بالنعمة للمنعم ، وبالتقصير في شكر المنعم ، وأن لا تُصرَف النعمة في معصية المنعم .

قال الله تعالى : ﴿ **اعملوا آل داود شكراً ، وقليل من عبادي الشكور** ﴾[1] .

فقال داود عليه السلام : كيف أشكرك يارب ، والشكر نعمة منك ؟

---

(١) ١٣ ـ سبأ .

قال : الآن قد عرفتني وشكرتني ، إذ قد عرفت أن الشكر مني نعمة .

قال : يارب ، فأرني أخفى نعمك عليّ .

قال : « يا داود ، تنفّس » . فتنفس داود .

فقال تعالى : من يحصي هذه النعمة الليلَ والنهار ؟

وروي أن موسى عليه السلام ، قال : يارب كيف أشكرك ، وأصغر نعمة وضعتها بيدي من نعمك ، لا يجازي بها عملي كله ؟

فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى الآن شكرتني .

ومن مظاهر شكر الله تعالى بذل الجهد في طاعته :

عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ ، كان يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه ـ أي تتشقق ـ

فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر[1] ؟

---

(١) قال الإمام ابن أبي جمرة المتوفى (سنة ٦٩٥ هـ) رضي الله عنه : لا يخطر بخاطر =

قال : أفلا أكون عبداً شكوراً[١] ؟

وأصل الشكر نابع من القلب ، ولهذا كان من خير ما يمنحه الله العبد في الدنيا ، أن يجعل قلبه شاكراً :

ففي الحديث الشريف : « قلب شاكر ، ولسان ذاكر ، وامرأة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك ، خير ما اكتنز الناس »[٢] .

شكر الناس :

ومما يجدر بالذكر هنا أن الإنسان مطالب بشكر الناس على معروفهم وحسن صنيعهم ، وفي هذا الشكر مرانة للإنسان على شكر المنعم سبحانه وتعالى على نعمه . فإذا شكر الإنسان المخلوق على معروفه اليسير ، كان جديراً أن يشكر الله تعالى

= أحد ، أن الذنوب التي أخبر الله تعالى أنه بفضله يغفرها للنبي ﷺ من قبيل ما نقع نحن فيه . معاذ الله ! إنما ذلك من قبيل توفية ما يجب للربوبية من الإعظام والإكبار والشكر . ووضع البشرية وإن رُفع قدرها حيث رفع ، فإنها تعجز عن ذلك بوضعها ، لأنها من جملة المحدثات وكثرة النعم على الذي رفع قدره أكثر من غيره ، تضاعف الحقوق عليه ، فحصل العجز ، فالغفران لذلك .

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) البيهقي .

على فضله الكبير ، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى .

ولهذا جاء في الحديث الشريف :

« من لم يشكر الناس ، لم يشكر الله »[١] .

اللهم اجعلنا من الشاكرين .

☆ ☆ ☆

---

(١) الترمذي .

وجل القلب

الخوف من الله تعالى ، ووَجَلُ القلوب منه ، وصفُ المؤمنين الصادقين .

ـ قال الله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...** ﴾[١] .

والوجل : الفزع من عذاب الله .

ـ وقال تعالى : ﴿ **وبشّرِ المُخبتين**[٢] **الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم ...** ﴾[٣] .

أي خافت ، وحذرت مخالفته .

وصفَهم بالخوف والوجل عند ذكره ، وذلك لقوة يقينهم ، ومراعاتهم لربهم ، كأنهم بين يديه .

ـ وقال تعالى في معرض الثناء : ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنهم إلى ربهم راجعون** ﴾[٤] .

---

(١) ٢ ـ الأنفال .
(٢) أي المخبتين .
(٣) ٣٤ ـ ٣٥ ـ الحج .
(٤) ٦٠ ـ المؤمنون .

أثنى الله تعالى على عباده الذين يعملون الصالحات ، مع الإخلاص فيها لله تبارك وتعالى ، ويعملون أعمال البر ، ويخافون أن لا تقبل منهم .

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية :

﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ... ﴾ .

قالت عائشة : أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟

قال : لا ، يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا تقبل منهم ، أولئك يسارعون في الخيرات ، وهم لها سابقون[١] .

أي سبقت لهم من الله السعادة .

وقال الحسن رضي الله عنه : لقد أدركنا أقواماً كانوا من حسناتهم أن تُرَدَّ عليهم أشفقَ ـ أي أخوف ـ منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها .

---

(١) الترمذي .

ـ وقال تعالى في معرض الثناء على الخائفين من عباده :

﴿ في بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ... ﴾[١] .

أي يخافون يوم القيامة ، الذي تتقلب فيه القلوب من الهول وحذر الهلاك، وتتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك .

فالقلوب تضطرب في الآخرة من الهول والفزع ، ويؤكد ذلك قوله تعالى :

﴿ وأنذرهم يومَ الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾[٢] .

ـ وقال تعالى في وصف ذلك اليوم المهول ، وخوف

---

(١) ٣٧ ـ النور .　　(٢) ٨ ـ غافر .

الكافرين فيه :

﴿ **يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوبٌ يومئذ واجفة ، أبصارها خاشعة** ﴾[١] .

أي خائفة وجلة ، قلقة مضطربة .

فالقلب موضع الخوف ، ووجَلُ القلب من الله تعالى في الدنيا شعار الأنبياء والصالحين .

ففي الحديث الشريف : أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له .

وعن عبد الله بن الشِخّير رضي الله عنه قال :

أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ، ولجوفه ـ أي لصدره ـ أزيزٌ كأزيز المِرجَل ـ أي القدر في غليانها ـ من البكاء[٢] .

وفي حديث العِرباض بن سارية رضي الله عنه قوله :

وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ، وجلتْ منها

---

(١) ٦ ـ ٩ النازعات .

(٢) أبو داود والترمذي .

القلوب ، وذرفت منها العيون[١] ...

وقال تعالى في معرض الثناء أيضاً :

﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾[٢] .

﴿ يخافون ربهم من فوقهم ... ﴾[٣] .

وفي الحديث القدسي : « وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي أمنين ولا خوفين ، إن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة ، وإن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة » .

من كلامهم في الخوف :

ـ الخوف سراج القلب ، به يُبصر ما فيه من الخير والشر .

ـ ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه . إنما الخائف من يترك معصية ربه .

ـ إن المؤمن لا يطمئن قلبه ، ولا تسكن روعته ، حتى

---

(١) أبو داود والترمذي .
(٢) ١٦ ـ السجدة .
(٣) ٥ ـ النحل .

يخلف جسر جهنم وراءه .

ـ الخوف من الله تعالى لا يسكن إلا في قلوب المتقين .

ـ ما فارق الخوف قلباً إلا خرب .

ـ الذي يهيج الخوف حتى يسكن في القلب ، دوامُ المراقبة في السر والعلانية .

ـ ينبغي للقلب أن لا يكون الغالب عليه إلا الخوف ، فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب .

جنود القلب :

القلب في حكم الملك ، والأعضاء في حكم الخدم والأعوان .

فاليد والرجل ، والعين والأذن واللسان ، وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة ... جميعُها خادمة للقلب ، ومسخّرة له ، وهو المتصرف فيها ، والموجّه لها ، وقد خُلقت مجبولة على طاعته ، لا تستطيع خلافاً له ، ولا تمرّداً عليه .

فإذا أمر العين بالانفتاح ، انفتحت .

وإذا أمر الرجل بالحركة ، تحركت .

وإذا أمر اللسان بالكلام ، تكلم .

وهكذا جميع الأعضاء .

والجوارح وإن كانت تابعة للقلب ، فقد يتأثر القلب ـ وإن كان رئيسها ومِلكها ـ بأعمالها ، للارتباط الوثيق الذي بين الظاهر والباطن .

ولهذا ورد أن القلب يسودُّ بفعل المعاصي .

ففي الحديث الشريف : « إن الرجل ليصيب الذنب ، فيسودّ قلبه ، فإن هو تاب صُقِل قلبه ... »[١] .

☆ ☆ ☆

(١) الترمذي .

إلهام القلب

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى :

اعلم أن من انكشف له شيء بطريق الإلهام ، والوقوع في القلب ، من حيث لا يدري ، فقد صار عارفاً بصحة الطريق .

ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط ، فينبغي أن يؤمن به ، فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جداً .

ويشهد لذلك شواهد الشرع ، والتجارب ، والحكايات :

أما الشواهد ، فقوله تعالى :

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا ... ﴾[1] .

فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة ، من غير تعلم ، فهو بطريق الكشف والإلهام .

---

(١) ١٩ ـ العنكبوت .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا**[١] **ويرزقه من حيث لا يحتسب ...** ﴾[٢] .

أي يعلّمه علماً من غير تعلم ، ويفطّنه من غير تجربة .

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ، إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ...** ﴾[٣] .

أي نوراً تفرْقون به بين الحق والباطل ، وتخرجون به من الشبهات .

ولهذا كان رسول الله ﷺ يكثر في دعائه من سؤال النور ، يقول :

اللهم أعطني نوراً ، وزدني نوراً ، واجعل لي في قلبي نوراً ، وفي قبري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ...

حتى قال : في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي[٤] .

---

(١) أي عن الإشكالات والشبه .
(٢) ٢ ـ الطلاق .
(٣) ٢٩ ـ الأنفال .
(٤) البخاري ومسلم .

وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى :

﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام ، فهو على نور من ربه** ﴾[١] .

ما هذا الشرح ؟

فقال : هو التوسعة . إن النور إذا قُذف به في القلب ، اتسع له الصدر وانشرح .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق ، والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ، ويجريه على ألسنتهم .

وفي الحديث الشريف : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون ـ أي ملهمون ـ فإن يك في أمتي أحد ، فإنه عمر »[٢] .

والمحدّث : هو الملهَم ، والملهَم : هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل ، لا من جهة المحسوسات الخارجة .

وكان بعض السلف يقول : ليس العالم الذي يحفظ من

---

(١) ٢٢ ـ الزمر .

(٢) مسلم .

كتاب ، فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً ، إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أيَّ وقت شاء ، بلا حفظ ولا درس .

وهذا هو العلم الرباني ، وإليه الإشارة بقوله تعالى في الخضر عليه السلام :

﴿ وعلّمناه من لدنّا علماً ﴾[١] .

مع أن كل علم منه سبحانه وتعالى ، ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق ، فلا يسمى ذلك « علماً لَدنّياً » بل اللدنّي الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج .

فهذه شواهد النقل ، ولو جُمع كل ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار ، لخرج عن الحصر .

وأما مشاهدة ذلك بالتجارب ، فذلك أيضاً خارج عن الحصر ، وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم :

ـ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته :

---

(١) ٦٥ ـ الكهف .

« إنما هما أخواكِ وأختاك » .

وكانت زوجته حاملاً ، فولدت بنتاً ، فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت .

ـ وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته وهو على المنبر :

« يا ساريةُ الجبل » حين انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذّره لمعرفته ذلك .

ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة .

ـ ودخل بعضهم على عثمان رضي الله عنه ، بعدما نظر في طريقه إلى امرأة ، وتأمل محاسنها .

فقال عثمان : يدخل عليَّ أحدكم ، وأثر الزنى ظاهر على عينيه !

فقال الرجل : أوحيٌ بعد رسول الله ؟

فقال : لا ، ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة .

وفي رواية أنه قال: اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله.

ـ وعن أبي سعيد الخراز رضي الله عنه قال :

دخلت المسجد الحرام ، فرأيت فقيراً عليه خرقتان .

فقلت في نفسي : هذا وأشباهه كلّ على الناس .

فناداني وقال : ﴿ **واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ...** ﴾[١] .

فاستغفرت الله في سري ، فناداني وقال :

﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ...** ﴾[٢] .

ثم غاب عني ، ولم أره .

ـ وما حكي من تفرس الصالحين ، وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر ، والحكاية لاتنفع الجاحد ، ما لم يشاهد ذلك من نفسه ، ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل .

☆ ☆ ☆

---

(١) ٢٣٥ ـ البقرة .

(٢) ٢٥ ـ الشورى .

وسوسة القلب

مَثَلُ القلب مَثَل الهدف ، تُصَوَّب إليه السهام من كل جانب .

والسِهام هي الخواطر ، والخواطر هي المحركات للإرادات ، فإن النية والعزم ، والإرادة إنما تكون بعد خطور المَنْويّ بالبال لا محالة .

فمبدأ الأفعال الخواطر ، ثم الخاطر يحرك الرغبة ، والرغبة تحرك العزم ، والعزم يحرك النية ، والنية تحرك الأعضاء .

والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر ، أعني إلى ما يضر في العاقبة ، وإلى ما يدعو إلى الخير ، أعني إلى ما ينفع في الآخرة .

فهما خاطران مختلفان ، فافتقرا إلى اسمين مختلفين :

فالخاطر المحمود يسمى : إلهاماً .

والخاطر المذموم ، أعني الداعي إلى الشر ، يسمى : وسواساً .

وسبب الخاطر الداعي إلى الخير ، يسمى : مَلَكاً .

وسبب الخاطر الداعي إلى الشر ، يسمى : شيطاناً .

واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى : توفيقاً .

والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى : إغواء وخذلاناً .

فإن المعاني المختلفة ، تفتقر إلى أسماء مختلفة .

والملك عبارة عن خَلْق خلقه الله تعالى شأنه لإفاضة الخير ، وإفادة العلم ، وكشف الحقّ ، والوعد بالخير ، والأمر بالمعروف . وقد خلقه الله ، وسخره لذلك .

والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك : وهو الإيعاد بالشر ، والأمر بالفحشاء ، والتخويف بالفقر عند الهمّ بالخير .

فالوسوسة في مقابلة الإلهام .

والشيطان في مقابلة الملك .

والتوفيق في مقابلة الخذلان .

فالقلب متجاذب بين الملك والشيطان .

وفي الحديث الشريف : في القلب لمتان :

لمة من الملك : إيعاد بالخير ، وتصديق بالحق .

فمن وجد ذلك ، فليعلم أنه من الله سبحانه ، وليحمد الله .

ولمة من العدو : إيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، ونهيٌ عن الخير .

فمن وجد ذلك ، فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ، والله واسع عليم** ﴾[١] .

وفي الحديث الشريف : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم ، لنظروا إلى ملكوت السماء »[٢] .

---

(١) ٢٦٨ ـ البقرة . ورواه الترمذي والنسائي .

(٢) أحمد .

وقال الحسن البصري رضي الله عنه : إنما هما همان يجولان في القلب :

همّ من الله تعالى ، وهمّ من العدو ، فرحم الله عبداً وقف عند همه ، فما كان من الله تعالى أمضاه ، وما كان من عدوه جاهده .

ولتجاذب القلب بين هذين المسلّطين ، قال رسول الله ﷺ :

« إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد ، يصرفه كيف يشاء » .

ثم قال : « اللهم مصرّف القلوب ، تبّت قلوبنا على طاعتك »[١] .

فالملك والشيطان مسخّران بقدرته تعالى في تقليب القلوب.

والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ، ولقبول آثار الشيطان ، بالتساوي ، لا يترجح أحدهما على الآخر ،

---

(١) مسلم .

وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى ، والإكباب على الشهوات ، أو الإعراض عنها ، ومخالفتها .

فإن اتبع الإنسان الهوى ، صار القلب عشّ الشيطان ومعدنه ، لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه .

وإن جاهد الشهوات ، ولم يسلّطها على نفسه ، وتشبّه بأخلاق الملائكة الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، صار قلبه مستقرّ للملائكة ، ومهبطهم .

ولما كان القلب لا يخلو عن شهوة وهوى ، لم يخلُ قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة . ولهذا جاء في الحديث الشريف :

« ما منكم من أحد إلا وله شيطان .

قالوا : وأنت يا رسول الله ؟!

قال : وأنا ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير »[١] .

---

(١) مسلم .

فـإذا غلب على القلب الهـوى ، وجـد الشيطـان مجـالاً فوسوس .

وإذا انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ، ارتحل الشيطـان ، وضاق مجاله ، وأقبل القلب وألهم .

والتطارد بين جندَي الملائكة والشيـاطين في معركـة القلب دائم ، إلى أن ينفتـح القلب لأحـدهمـا ، فيستـوطن ويستمكن ، ويكون اجتياز الثاني اختلاساً .

وأكثر القلـوب قـد فتحتهـا جنـود الشيـاطين ، وتملكتهـا فامتلأت بـالوسـاوس ، الـداعيـة إلى إيثـار العـاجلـة ، واطّراح الآخرة .

قال جابر بن عبيدة العـدوي : شكوت إلى العلاء بن زيـاد ما أجد في صدري من الوسوسة .

فقال : إنما مَثَل ذلـك ، مَثَل البيت الـذي يمر بـه اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه ، وإلا مضوا وتركوه .

يعني أن القلب الخـالي عن الهـوى لا يـدخلـه الشيطـان ،

ولهذا قال الله تعالى :

﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ... ﴾[١] .

قال عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه ، للنبي ﷺ :

يا رسول الله ، حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي .

فقال : « ذلك شيطان يقال له : « خنزب » فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ؛ واتفل على يسارك ثلاثاً » .

قال : ففعلت ذلك ، فأذهبه الله عني[٢] .

وفي الخبر : إن للوضوء شيطاناً يقال له : « الولهان » ، فاستعيذوا بالله منه[٣] .

وقال مجاهد في معنى قوله تعالى :

﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾[٤] :

الشيطان منبسط على القلب ، فإذا ذكر الله تعالى خنس

---

(١) ٤٢ ـ الحجر .
(٢) مسلم .
(٣) ابن ماجه والترمذي .
(٤) ٤ ـ الناس .

وانقبض ، وإذا غفل انبسط على قلبه .

فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان ، كالتطارد بين النور والظلام ، وبين الليل والنهار ، ولتضادهما قال الله تعالى :

﴿ **استحوذ عليهم الشيطان ، فأنساهم ذكر الله....** ﴾[١] .

وفي الحديث الشريف : « إن الشيطان واضع خَطمه ـ أي خرطومه ـ على قلب ابن آدم ، فإن هو ذكر الله تعالى خنس ، وإن نسي الله تعالى التقم قلبه »[٢] .

ولما كانت الشهوات ممتزجة بلحم الإنسان ودمه ، ومحيطة بالقلب من جوانبه ، قال رسول الله ﷺ :

« إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع » .

ولأن الشهوات تكتنف القلب من جوانبه ، قال الله تعالى

---

(١) ١٩ المجادلة (٢) ابن أبي الدنيا وأبو يعلى .

إخباراً عن إبليس :

﴿ لأقعدَنّ لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينّهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ﴾[١] .

وفي الحديث الشريف : « إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق :

فقعد له بطريق الإسلام ، فقال : أتسلم وتترك دينك ودين آبائك ؟

فعصاه فأسلم .

ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر وتدع أرضك وسماءك ؟

فعصاه وهاجر .

ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال : أتجاهد وهو تلف النفس والمال ، فتقاتل فتُقتل ، فتُنكح نساؤك ، ويقسم مالك ؟

---

(١) ١٧ ـ الأعراف .

فعصاه وجاهد .

فمن فعل ذلك فمات ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة »[١] .

وفي الحديث الشريف : « يأتي الشيطان أحدكم ، فيقول :

« من خلق كذا ؟ من خلق كذا » حتى يقول :

« من خلق ربك » ؟

فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله وَلْينتهِ »[٢] .

يرشدنا النبي ﷺ في هذه الحالة أن نقطع الوسوسة ، وندفع الخواطر بالإعراض عنها ، لأن عقولنا القاصرة التي تعجز عن إدراك حقيقة نفسها ، تعجز من باب أولى عن إدراك حقيقة ذات الله تبارك وتعالى .

وحسبنا أن نذكر أن من صفات الله عز وجل مخالفته للحوادث ، وأن الافتقار إلى موجد هو من صفات المخلوقين ، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

---

(١) النسائي .

(٢) البخاري ومسلم .

وقال أبو الجوزاء أوس بن عبد الله رضي الله عنه :

ليس شيء أطردَ للشيطان من القلب ، من قول : « لا إله إلا الله » .

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما :

إن مما يطرد الشيطان قول : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

بهذا البيان اتضح معنى الوسوسة والإلهام ، والملك والشيطان ، والتوفيق والخذلان .

وبهذا تبين أن الشيطان للإنسان عدو مبين ، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته :

قال الله تعالى : ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾[1] .

☆ ☆ ☆

---

(١) ٦ ـ فاطر .

تقلب القلب

القلب يشبه الهدف ، يصاب على الدوام من كل جانب ، فإذا أصابه شيء يتأثر به ، أصابه من جانب آخر ما يضاده ، فتتغير صفته .

فإن نزل به الشيطان ، فدعاه إلى الهوى ، نزل به الملك ، وصرفه عنه .

وإن جذبه شيطان إلى شر ، جذبه شيطان آخر إلى غيره .

وإن جذبه ملك إلى خير ، جذبه ملك آخر إلى غيره .

فتارة يكون متنازَعاً بين ملكين ، وتارة بين شيطانين ، وتارة بين ملك وشيطان ، ولا يكون قط مهملاً .

وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم** ﴾[1] .

ولاطلاع رسول الله ﷺ على عجيب صنع الله في عجائب

---

(١) ١١٠ ـ الأنعام .

القلب وتقلّبـــه ، كان يحلف بـــه فيقـول : لا ، ومقلب القلوب[١] .

وكان كثيراً مـا يقول : « يـا مقلب القلـوب ثبت قلبي على دينك .

قالوا : أو تخاف يا رسول الله ؟!

قال : وما يؤمنني ، والقلب بين أصبعين من أصـابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ؟

وزاد في روايـة : إن شـاء أن يقيـه أقـامـه ، وإن شـاء أن يزيغه أزاغه »[٢] .

فـإذا كان النبي ﷺ يقول هـذا ، مع عظيم قـدره ، وجلال منصبه ، فنحن أولى بذلك وأولى .

وفي الحديث الشريف : « قلب المؤمن أشد تقلباً من القـدر في غليانها »[٣] .

---

(١) البخاري .
(٢) أحمد وغيره .
(٣) أحمد .

« مَثَل القلب مَثَل العصفور ، يتقلب في كل ساعة »[١] .

« مَثَل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة ، تقلبها الرياح ظهراً لبطن »[٢] .

وهذه التقلبات وعجائب صنع الله في تقليبها ، لا يعرفها إلا المراقبون لأحوالهم مع الله تعالى .

القلوب ثلاثة :

والقلوب في الثبات على الخير والشر ، والتردد بينهما ثلاثة :

١ ـ قلب عُمر بالتقوى ، وطهر عن خبائث الأخلاق ، فتقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ، ومداخل الملكوت ، فينكشف للعقل بنور البصيرة وجهه ، فيحكم بأنه لابد من فعله ، فيستحثه عليه ، ويدعوه إلى العمل به .

وينظر الملك إلى القلب ، فيجده طيباً في جوهره ، طاهراً بتقواه ، مستنيراً بضياء العقل ، مغموراً بأنوار المعرفة ، فيراه صالحاً لأن يكون له مستقراً ومهبطاً . فعند ذلك يمده بجنود

---

(١) الحاكم .

(٢) الطبراني والبيهقي .

لا ترى ، ويهديه إلى خيرات أخرى ، حتى ينجرَّ الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ، ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير ، وتيسير الأمر عليه ، وإليه الإشارة بقوله تعالى :

﴿ فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ﴾[1] .

وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا تخفى عليه خافية ، ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ، ويوحي زخرف القول غروراً ، فلا يلتفت إليه .

وهذا القلب بعد طهارته من الرذائل المهلكات ، يصير على القرب معموراً بالفضائل المنجيات : كالشكر ، والصبر ، والخوف ، والرجاء ، والزهد ، والمحبة ، والرضا ، والشوق ، والتوكل ، والتفكر ، والمحاسبة ...

وهذا القلب هو الذي يُقبل الله عز وجل بوجهه عليه .

وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى :

---

(١) ٥ ـ ٧ الليل .

﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾[١] .

ويقول عز وجل : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾[٢] .

٢ ـ والقلب الثاني ـ هو القلب المخذول ، المشحون بالهوى ، المدنَّس بالأخلاق الذميمة والخبائث ، المفتوح فيه أبواب الشياطين ، المسدود عنه أبواب الملائكة .

ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ، ويهجس فيه ، فينظر القلب إلى حاكم العقل ، ليستفتي منه ، ويستكشف وجه الصواب فيه ، فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى ، وأنس به ، واستمر على استنباط الحيل له ، وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس ، وتساعد عليه ، فينشرح الصدر بالهوى ، وتنبسط فيه ظلماته ، لانحباس جند العقل عن مدافعته، فيقوى سلطان الشيطان، فيقبل عليه بالتزيين والغرور والأماني ، ويوحي بذلك زخرفاً من القول غروراً ،

---

(١) ٢٨ ـ الرعد .

(٢) أواخر سورة الفجر .

فيضعف سلطان الإيمان بوعد الله ووعيده ، ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة ، إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب ، يملأ جوانبه ، حتى تنطفىء أنواره ، فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أجفانها ، فلا يقدر على أن ينظر .

وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب ، حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ، ولو بصّره واعظ ، وأسمعه ما هو الحق فيه ، عمي عن الفهم ، وصَمَّ عن السمع ، وهاجت الشهوة فيه ، وسطا الشيطان ، وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية .

وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى :

﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، أفأنت تكون عليه وكيلاً ؟

أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون .؟

إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلاً ﴾[1] .

---

(١) ٤٤ ـ الفرقان .

وبقوله تعالى : ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾[1]..

٣ ـ والقلب الثالث : قلب تبدو فيه خواطر الهوى ، فتدعوه إلى الشر ، فليحقه خاطر الإيمان ، فيدعوه إلى الخير ، فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر ، فتقوى الشهوة ، فينبعث العقل إلى خاطر الخير ، ويدفع في وجه الشهوة ، ويقبّح فعلها ، فتميل النفس إلى نصح العقل ، فيحمل الشيطان حملة على العقل ، فيقوى داعي الهوى ، ويقول :

ما هذا التحرج البارد ؟

ولِمَ تمتنع عن هواك فتحرمَ نفسك ؟

ألا ترى العالم الفلاني ، لا يحترز من مثل فعلك ؟

فتميل النفس إلى الشيطان ، وتنقلب إليه .

فيحمل الملك حملة على الشيطان ، ويقول :

هل هلك إلا من اتبع لذة الحال ، ونسي العاقبة ؟

---

(١) ٦ ـ البقرة .

أفتقنع بلذة يسيرة ، وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد ؟

أتغترّ بغفلة الناس عن أنفسهم ، واتباعهم هواهم ؟

فعند ذلك تمتثل النفس إلى قول الملك .

فلا يزال الخاطر يتردد بين الجندين ، متجاذباً بين الحزبين ، إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به :

فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية ، غلب الشيطان ، ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان ، معرضاً عن حزب الله تعالى وأوليائه ، ووقعت المعصية .

وإن كان الأغلب على القلب الصفات الملكية ، لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان ، وتحريضه إياه على المعصية ، وتهوينه أمر الآخرة ، بل مال إلى حزب الله تعالى ، وظهرت الطاعة .

فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، أي بين تجاذب هذين الجندين ، وهو الغالب ، أعني التقلب والانتقال

من حزب إلى حزب .

أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة ، أو مع حزب الشيطان ، فنادر من الجانبين .

فمن خلق للجنة يُسّرت له أسباب الطاعات ، ومن خلق للنار ، يُسّرت له أسباب المعاصي ، وسُلّط عليه أقران السوء ، وأُلقي في قلبه الغرور ، فإن الشيطان يغرّ الحمقى بقوله :

إن الله رحيم ، فلا تبالِ ، وإن العمر طويل ، وغداً تتوب ...

﴿ يَعِدهم ويمنّيهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾[١] .

يعدهم التوبة ، ويمنيهم المغفرة ، فيهلكهم .

﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرحْ صدره للإسلام ، ومن يردْ أن يضله يجعلْ صدره ضيّقاً حَرَجاً ، كأنما يصّعّد في السماء .. ﴾[٢] .

---

(١) ١٢٠ ـ النساء .

(٢) ١٢٥ ـ الأنعام .

﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ؟ ﴾[١] .

فالله تعالى هو الهادي ، وهو المضل ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا راد لحكمه ، ولا معقّب لقضائه ، خلق الجنة وخلق لها أهلاً ، فاستعملهم بالطاعة ، وخلق النار ، وخلق لها أهلاً ، فاستعملهم بالمعاصي :

﴿ فتعالى الله الملك الحق ... ﴾[٢] .

﴿ لا يُسأل عما يفعل ، وهم يُسألون ﴾[٣] .

من المشاهد المحسوس :

وكم رأينا ـ تصديقاً لما سبق ـ من استقام على شريعة الله ، وتمسك بسنة رسول الله ، ولم تمض عليه فترة ، حتى انقلب رأساً على عقب ، وانطلق من قيود الحلال والحرام ، ورأى أن ما كان عليه من الهدى حمق وضلال .

---

(١) ١٦٠ ـ آل عمران .

(٢) ١١٤ ـ طه و ١١٦ ـ المؤمنون .

(٣) ٢٣ ـ الأنبياء . وانتهى كلام الغزالي رحمه الله تعالى باختصار .

رأينا هذا بأعيننا ، وسمعناه بآذاننا ، ونعرف من هذا النوع أفراداً ، نذكرهم ـ إذا شئنا ـ بأسمائهم .

وكم رأينا من الشباب المنحرف ، من هُدي إلى الاستقامة وتاب مما فرط منه ، وذاق حلاوة الإيمان والطاعة ، وشعر بلذة التقوى ، وقال :

إن ساعة من العمر في طاعة الله ، والاستقامة على دين الله ، أعظم من جميع ما مضى منه في شهوات النفس ، واتباع الهوى ، والاسترسال في المعاصي والفسوق .

رأينا هذا بأعيننا ، وسمعناه بآذاننا ، ونعرف من هذا النوع أفراداً ، نذكرهم ـ إذا شئنا ـ بأسمائهم .

فسبحان مقلب القلوب ؟

وقديماً قال الشاعر :

مـــــا سُمّي إلا من تقلُّبـــــــه
فـاحـذر على القلب من قلبٍ وتحـويـل

من صور التقلب :

وليس هذا التقلب الذي سبق وصفه ، قاصراً على أمور الخير والشر ، بل هو مشاهد أيضاً في الأمور المباحة ، والآراء والرغبات المباحة :

فإن الإنسان قد يعزم كل العزم ، على فعل أمر أو تركه ، ويقتنع كل القناعة في صواب ما عزم عليه من فعل أو ترك ، حتى لو اجتمع أهل الأرض على أن يقنعوه بخلاف ما اقتنع به ، لعجزوا . ثم هو بعد ذلك ينقلب عنه إلى ضده !

وكم يبدو تقلب القلوب واضحاً ، وضعف الإنسان في تقلبه فاضحاً حين يعزم على فعل ، ثم يعدل عنه في الحال ، ثم يعزم ثم يعدل ، مراتٍ ومرات ؛ حتى يصل به هذا التقلب إلى حد المضحكات !

ولهذا لما قيل لبعض السلف : كيف عرفت الله ؟

قال : بنقض العزائم .

☆ ☆ ☆

فتنة القلب

ومن أخطر مخاطر القلب ، ما يُعرض عليه من الفتن ، وما يتشرَّبه منها :

عن حذيفة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :

« تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أُشرِبها ، نُكتتْ فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها ، نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين :

على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض .

والآخر أسود مُرْبادّاً - أي ممزوجاً بياضه بسواد - كالكوز مُجَخِّياً - أي منكوساً - لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً ، إلا ما أُشرب من هواه ...[1] »

☆ ☆ ☆

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

الختم على القلب

ـ قال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ :

﴿ أم يقولون : افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك ... ﴾[1] .

لأن الصدق والأمانة من الصفات الواجبة للرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، فلو كان ما يدعيه المشركون ، من أن النبي ﷺ ، افترى هذا القرآن من عند نفسه ، وادعى أنه من عند الله ، فإن الله تعالى قادر على أن يختم قلبه ، فينسيه ما ادعى أنه من عند الله ، إذا لم يكن من عند الله .

فالله تعالى يفتح قلوب من شاء من عباده لذكره ، والإيمان به ، ومعرفة شرائعه ،.. ويختم على قلوب من شاء منهم ويطبع عليها ، فلا تهتدي إلى الإيمان ، ولا إلى معرفة الشرائع .

ـ والقلب إذا تنور بالإيمان اتبع الهدى ، وإذا طبع عليه أظلم ، واتبع الهوى .

---

(١) ٢٤ ـ الشورى .

قال الله تعالى في معرض الذم :

﴿ **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ، واتبعوا أهواءهم** ﴾[١] .

ـ وقال تعالى في معرض ذم الكافرين ، الذين لم يفتحوا قلوبهم لما أُنزل إليهم من ربهم :

﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها ؟!** ﴾[٢] .

أفلا يتدبرون القرآن ، ويتفهّمونه ، فيعلموا أنه من عند الله .

أم على قلوب أقفالها : أي بل على قلوب أقفالها ، أقفلها الله عز وجل عليهم ، فهم لا يعقلون .

روي أن النبي ﷺ ، لما تلا هذه الآية ، قال شاب من أهل اليمن :

بل على قلوب أقفالها ، حتى يكون الله يفتحها .

---

(١) ١٦ ـ محمد ﷺ .

(٢) ٢٤ ـ محمد ﷺ .

فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه ـ أي له مكانة عنده ـ حتى ولي فاستعان به .

ـ وقال تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم** ﴾[١] .

بيّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ، أن المانع للكافرين من الإيمان ، هو الختم على قلوبهم ، وتغطيتها ، فلا يصل إليها نور الإيمان .

وقد وصف الله تعالى قلوب الكافرين بعشرة أوصاف :

١ ـ بالختم ، فقال : ﴿ **ختم الله على قلوبهم ...** ﴾[٢] .

٢ ـ وبالطبع ، فقال : ﴿ **فطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** ﴾[٣] .

---

(١) ٧ ـ البقرة .
(٢) ٧ ـ البقرة .
(٣) ٣ ـ المنافقون .

٣ ـ وبالضيق ، فقال : ﴿ ومن يُرِدْ الله أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حَرَجاً ... ﴾[١] .

٤ ـ وبالمرض ، فقال : ﴿ في قلوبهم مرض ... ﴾[٢] .

٥ ـ وبالرّين ، فقال : ﴿ كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ... ﴾[٣] .

٦ ـ وبالموت ؛ فقال : ﴿ أوَ من كان ميتاً فأحييناه ... ﴾[٤] .

وقال : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى يبعثهم الله ... ﴾[٥] .

٧ ـ وبالقساوة ، فقال : ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ... ﴾[٦] .

وقال : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ... ﴾[٧] .

---

(١) ٢٥ ـ الأنعام .
(٢) ١٠ ـ البقرة .
(٣) ١٤ ـ المطففين .
(٤) ١٢٢ ـ الأنعام .
(٥) ٣٦ ـ الأنعام .
(٦) ٢٢ ـ الزمر .
(٧) ٧٤ ـ البقرة .

٨ ـ وبالانصراف ، فقال : ﴿ **ثم انصرفوا ، صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ...** ﴾[١] .

٩ ـ وبالحمية ؛ فقال : ﴿ **إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية ...** ﴾[٢] .

١٠ ـ وبالإنكار ، فقال : ﴿ **قلوبهم منكِرة ، وهم مستكبرون ...** ﴾[٣] .

فالختم على القلوب : عدم الوعي عن الله سبحانه مفهومَ مخاطباته ، والفكرَ في آياته .

والختم على السمع : عدم فهمهم للقرآن إذا تُلي عليهم ، أو دُعوا إلى وحدانية الله تعالى .

والختم على الأبصار : عدم هدايتها للنظر في مخلوقات الله وعجائب مصنوعاته .

ـ وقال تعالى في معرض الذم : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه**

---

(١) ١٢٧ ـ التوبة .
(٢) ٢٦ ـ الفتح .
(٣) ٢٥ ـ النحل .

هواه ، وأضله الله على علم . وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون ؟ ﴾[١] .

ختم على سمعه وقلبه : أي طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ .

وطبع على قلبه ، حتى لا يفقه الهدى .

وجعل على بصره غشاوة : أي غطاء حتى لا يبصر الرشد .

ـ وقال تعالى : ﴿ **ومنهم من يستمع إليك ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه، وفي آذانهم وقراً...﴾**[٢].

فالله تعالى يندّد على المشركين كفار مكة عدمَ انتفاعهم بالقرآن ، وعدم انقيادهم إليه ، ويصفهم بالختم على قلوبهم .

وليس المعنى أنهم لا يسمعون ، ولا يفقهون ، ولكن لما كانوا لا ينتفعون بما يسمعون ، ولا ينقادون إلى الحق ، كانوا بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم .

---

(١) ٢٣ ـ الجاثية .

(٢) ٢٥ ـ الأنعام .

والأكنّة : الأغطية . جمع كِنان ، وهو الغطاء .

ـ وقال الله تعالى يخبر المجادلين بالباطل ، المتكبرين عن الحق ، أنه ختم على قلوبهم :

﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبّرٍ جبار ...﴾[1] .

فإذا طبع الله على قلب ، جعل صاحبه لا يعقل الرشاد ، ولا يقبل الحق .

ـ وقال تعالى في معرض الذم :

﴿ بل قلوبهم في غمرة من هذا ... ﴾[2] .

أي في غطاء وغفلة وعماية عن القرآن ، فقلوبهم في حيرة وعمى .

ـ وقال تعالى : **﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس :**

---

(١) ٣٥ ـ غافر .

(٢) ٦٣ ـ المؤمنون .

لهم قلوب لا يفقهون بها .

ولهم أعين لا يبصرون بها .

ولهم آذان لا يسمعون بها .

أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾[1] .

فالله تعالى خلق للنار أهلاً :

لهم قلوب لا يفقهون بها : أي بمنزلة من لا يفقه ، لأنهم لا ينتفعون بها ، ولا يعقلون ثواباً ، ولا يخافون عقابا .

وليس الغرض نفي الإدراكات عن حواسهم جملة ، بل نفي الإيمان عنهم .

ـ وقال تعالى في ذم اليهود ، وتكذيبهم بالرسل :

﴿ وقالوا : قلوبنا غُلفٌ ، بل لعنهم الله بكفرهم ، فقليلاً ما يؤمنون ﴾[2] .

---

(١) ١٧٩ ـ الأعراف .

(٢) ٨٨ ـ البقرة .

والقلب الأغلف : المستور عن الفهم والتمييز .

ـ وقال تعالى في وصف المنافقين :

﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ، فطبع على قلوبهم ، فهم لا يفقهون ﴾[١] .

هذا ، والمعصية سبب للطبع على القلب ، إذا توالت عليه مرة بعد أخرى ، من غير توبة منها ، ولا إقلاع عنها :

ففي الحديث الشريف : إذا أذنب العبد ، كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإذا تاب ونزع واستغفر ، صُقل قلبه منها ، وإن زاد زادت ، حتى تعلو قلبه . فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى في كتابه :

﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾[٢] .

وفي حديث آخر : لينتهيَنّ أقوام عن وَدْعهم الجمعات ـ أي عن تركها ـ أو ليختمنَّ الله على قلوبهم، ثم ليكونُنّ من الغافلين[٣] .

---

(١) ٣ ـ المنافقون .
(٢) ١٤ ـ المطففين . ورواه الترمذي والنسائي .
(٣) مسلم .

وفي حديث آخر : من ترك ثلاث جُمعَ تهاوناً بها ، طبع الله على قلبه[١] .

* * *

(١) أحمد وأبو داود .

دعاء

ـ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

ـ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم .

ـ اللهم مصرفَ القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك .

ـ اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك .

ـ اللهم انقلنا من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، وأغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، ونوِّر قلوبنا وقبورنا ، وأعذنا من الشر كله ، واجع لنا الخير كله .

ـ اللهك اجعل في أسماعنا نوراً ، وفي أبصارنا نوراً ، وفي قلوبنا نوراً .

ـ اللهم اشرح لنا صدورنا ، ويسّر لنا أمورنا ، ونعوذ بك

من وساوس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر .

ـ اللهم إنا نسألك بنور وجهك الكريم ، وسلطانك العظيم ، توبةً صادقة ، وأوبة خالصة ، وإنابة كاملة ، ومحبة غالبة ، وشوقاً إليك ، ورغبة فيما لديك ، وفرجاً عاجلا ، ورزقاً واسعاً ، ولساناً رطباً بذكرك ، وقلباً منعّماً بشكرك ، وبدناً هيناً ليناً بطاعتك ، وأعطنا مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ـ اللهك إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها .

ـ اللهم اغسل عنا خطايانا بالماء والثلج والبرد ، ونقِّ قلوبنا من الخطايا ، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وباعد بيننا وبين خطايانا ، كما باعدت بين المشرق والمغرب .

ـ اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتبت لنا ، وأرضِنا من المعيشة بما قسمت لنا .

ـ اللهم أصلح ذات بيننا ، وألف بين قلوبنا ، واهدنا سبل السلام ، ونجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش

ما ظهر منها وما بطن .

ـ اللهم بارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا ، وأزواجنا وذرياتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

ـ اللهم افتح مسامع قلوبنا لذكرك ، وارزقنا طاعتك وطاعة رسولك ﷺ ، وعملاً بكتابك .

ـ اللهم إنا نسألك رحمة من عندك ، تهدي بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ، وتلمُّ بها شَعثنا ، وتصلح بها غائبنا ، وترفع بها شاهدنا ، وتزكّي بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتردَّ بها أُلفتنا ، وتعصمنا بها من كل سوء .

ـ اللهم اجعل لنا نوراً في قلوبنا ، ونوراً في قبورنا ، ونوراً في أيدينا ، ونوراً من خلفنا ، ونوراً عن أيماننا ، ونوراً عن شمائلنا ، ونوراً من فوقنا ، ونوراً من تحتنا ، ونوراً في أسماعنا ، ونوراً في أبصارنا ، ونوراً في أشعارنا ، ونوراً في بَشَرنا ، ونوراً في لحومنا ، ونوراً في دمائنا ، ونوراً في عظامنا .

ـ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

المحتوى

الموضوع الفهرس

التعريف بالمؤلف ٣
المقدمة ٧
القلب : تعريفه ، مكانته ١١
القلوب بيد الله تعالى ١٤
تحبيب الإيمان للمؤمنين ١٤
من آثار الإيمان ١٥
الحيلولة بين المرء وقلبه ١٦
التأليف بين القلوب ١٦
الربط على القلوب ١٧
قذف الرعب في القلب ٢٢
تحريك القلوب ٢٣
الله مطلع على القلوب ٢٥
فضيحة المنافقين ٢٦
كيف أخبر النبي ﷺ بمغيبات ؟ ٢٧

الموضوع **الصفحة**

الأخذ بالظاهر ٢٨
القلب موضع الوحي ٣٣
القلب موضع الإيمان ٣٥
إنكار المنكر بالقلب ٣٨
علاقة صدق الإيمان ٣٩
لا اعتقادين في قلب ٤٠
المؤلفة قلوبهم ٤٢
من حكمة الرسول ﷺ ٤٧
في قلب المؤمن حب المؤمنين ٤٩
المعوَّل على القلب ٥٢
القلب موضع الكفر والنفاق ٥٤
القلب موضع النية والإخلاص ٥٦
عزم القلب ٥٨
النية في الإيمان ٦٣
بم يكون الحلف ؟ ٦٥
كفارة اليمين ٦٦

الموضوع **الصفحة**

اليمين الغموس ٦٦
في التبني ٦٨
النية في التوبة ٧٠
النية في العبادات ٧٠
النية في الأقوال ٧٠
النية في الأفعال ٧٢
مثال أخير ٧٥
لا إثم في الخطأ والنسيان ٧٦
القلب موضع الأمانة ٧٨
القلب موضع التقوى ٧٩
صيانة القلب من ظن السوء ٧٩
من تقوى القلب أداء الشهادة ٨٠
الحذر من الإثم ٨١
تعظيم شعائر الله ٨١
تعظيم رسول الله ﷺ ٨٢
البر والإثم ٨٤

الموضوع **الصفحة**

القلب موضع الذكرى ٨٥
حسن الاستماع ٨٦
سوء الاستماع ٨٩
غافل القلب لا يُطاع ٨٩
واعظ القلب ٩٢
ما خرج من القلب وقع في القلب ٩٢
ترويح القلب ٩٤
القلب موضع المحبة والبغض والكراهية ٩٦
النهي عن محبة الكافرين ٩٨
سلامة صدور أهل الجنة ٩٩
من خير الناس ؟ ٩٩
مرض القلب وزيغه ١٠٠
من علامات مرض القلب وزيغه ١٠٢
اتباع المتشابه من القرآن الكريم ١٠٢
النفاق ١٠٢
التمرد على حكم الله والرسول ١٠٣

الموضوع **الصفحة**

المسارعة في مولاة الكافرين ١٠٥
الطمع في المعصية والرغبة فيها ١٠٥
التقاعس عن الجهاد ١٠٧
من آفات القلب : ١٠٩
الكفر ـ الجهل ـ حب الرئاسة ـ خوف الذم والتعيير ـ حب المدح والثناء ـ اعتقاد البدع ـ اتباع الهوى ـ الرياء ـ طول الأمل ـ الطمع ـ الكبر ـ العُجب ـ الحسد ـ الحقد ـ الشماتة ـ الجبن ـ التهور ـ الغدر ـ الخيانة ـ خُلْف الوعد ـ سوء الظن ـ التطير ـ البخل ـ الإسراف والتبذير ـ حب المال ـ الكسل والبطالة ـ العجلة ـ التسويف ـ الوقاحة ـ الجَزَع ـ كفران النعم ـ السخط ـ تعليق الخاطر بغير الله تعالى ـ حب الفسقة ـ بغض العلماء والصالحين ـ الجراءة على الله تعالى ـ اليأس من رحمة الله تعالى ـ الخوف من فوات شيء من أمور الدنيا ـ المداهنة ـ الأنس بالناس ـ العناد ومكابرة الحق ـ النفاق ـ الإصرار على المعاصي .

الموضوع	الصفحة

شفاء القلب ١٣٨
طرق تهذيب النفس وشفاء القلب ١٤١
سلامة القلب ١٤٥
من أوصاف القلب السليم ١٤٧
حسرة القلب ١٥٢
سكينة القلب وطمأنينته ١٥٣
رقة القلب ١٥٩
من مظاهر رقة القلب ١٦٠
قسوة القلب ١٦٦
ملاحظة ١٧٠
عود إلى ذم القسوة ١٧٠
شكر القلب ١٧٢
شكر الناس ١٧٤
وجَل القلب ١٧٦
من كلامهم في الخوف ١٨٠
جنود القلب ١٨١

الموضوع **الصفحة**

إلهام القلب ١٨٣
وسوسة القلب ١٨٩
تقلب القلب ٢٠٠
القلوب ثلاثة ٢٠٢
من المشاهد المحسوس ٢٠٩
من صور التقلب ٢١١
فتنة القلب ٢١٢
الختم على القلب ٢١٣
دعاء ٢٢٣
المحتوى ٢٦٦

هذا الكتاب

يبحث في القلب :

فيذكر مكانته ، إذ هو مصدر الخير والشر في الإنسان .. ومنبع النور والإيمان ، أو منشأ الظلمة والكفر .. فهو سبب أصيل من أسباب سعادة الإنسان وشقاوته .. « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » .

ويفصّل أحواله ، فقلب منور بالإيمان ، ذاكر الله سبحانه .. وآخر مظلم بالمعاصي والآثام ، غافل عن الله سبحانه .

ويبيّن أمراضه وطرق شفائه ، فالقلب المريض ينشىء الفرد الفاسد ، والفرد الفاسد لبنة واهية في بناء المجتمع ، الذي يحفل بأنواع المشاكل والمفاسد والآثام .. والناس حيرى في العلاج ، مع أن نقطة البدء يجب أن تنطلق من إصلاح القلب ، فبصلاحه يصلح الفرد ، وبصلاح الفرد يصلح المجتمع .

الناشر